عبد الله راجع

أيادٍ كانت تسرق القمر



توزيع دار الأمان
2002

عبدالله راجع

أيادكانت تسرق القمر

الطبعة الثانية
2002

مـطـبـعـة

" دار القرويين "

الدار البيضاء

رقم الإيداع القانوني 1988/83

المحتويـات

الطريق إلى الجرانيت

الغرباء لا يحترفون العشق

أنت البحر، وترسل ضحكتها شمشيهْ
يقفز من مكمنه قلب صديقي
فتراودني الأحزان الوحشيهْ
هاك الجسد البارع في الفتك مقابل أن تكتب شعراً
في امرأة من كازاخستان انزلقت ذات مساء
تبحث عن ميناء لرحيل أنوثتها
هل كنت صديقي تعرف أن الخط الرابط بين سلا وشوارع آلما آتا
يمكن أن يقلب رأساً جغرافية القلب وأن الأنواء
قد تتوقف أحياناً، ترحل أحيانا
تابعة خطوتك المسكونة بالفقراء
كانت تلك اللحظات الأكثر فتكا بين ممرات النزل
تموّنُ صدرك بالتفاح الكازاخيّ، التمعتْ عيناكَ
سكتٍّ، وكان حديث العين مؤامرة
كان دخان التبغ مؤامرة
ما أقسى هذا العالم اذ يمنحنا أوراق الجنسية!
كنتَ حزينا في ضحكتك المسقية بالهم بالعربي
و كانت شمشيه
تتهجى فيك أنوثتها
ترسم فوق العينين حديثا يتأبى
تهمس «أنت البحرُ، أنا النهرُ»

فتعدل همستها كل أحاديث العشق المرويهْ

وتكون قد انتشرت فوق خرائط جسمك فاكهةً
ينحدر النهر،يهب للقياه البحرُ، ولا يلتقيان
كيف إذن يكتمل العشق بلا ترجمة
والزورق لا يركبه إلا اثنان؟
أي حديث تحسنه الآن امرأةٌ
يرقد في عينيها الكبريت امرأةٌ
تبحث بين ممرات النزل عن البحر الإفريقي امرأةٌ
تكتب بالخط العربي إسمك حرفاً حرفاً
وتقول: خذي شكل المدية أيتها الأحرف
ثم انغرسي في القلبْ
هل كنت صديقي تعرف ان الرحلة من آلماآتا حتى موسكو
ليست أقرب كي يطمع محبوب في محبوب
كيف اذن جئت بهذا البحر الإفريقي
بنيتَ له في النزل مرافىء واسعة، ورحلت كما جئتَ
ولكنْ، ما كان رحيلك صدفه
كيف اذن تسحب هذا الابحار بلا إشعار
كي تترك نهراً يبحث عن رقم الغرفة؟
أي طريق سلكتْ بعد رحيلك تلك الطفلةُ
الطفلةُ سمتكَ البحرَ
وكانت تتأهب للسفر الشيقَ في خارطة الوطن العربيِّ
سكَتَّ، التمعتْ عيناكَ، سكتَّ
وغامتْ عينا شمشيه
حتى في آلما آتا تنبت للعشق هموم وحشية

وهذا مساء آخر للكلمة

هاهم يقفون اللحظة، يكتشفون أصابعهم
في صوتك، يكتشفون العشق المتدلي من أعينهم
في يدك الممدودة، في العينين المقفلتين
وفي فمك المفتوح أمام الميكرو
تهتز القاعة بالتصفيقاتِ
فهُز جبينك ياروبرت الآن يصير الشاعر طفلا ونبيا
هُز جبينك، هاهم قد منحوك الورد
كنت تحدثهم عن دنيا تولد من كلمة حب
عن زمن لا تجهض في حضرته نبضة قلب
ما أروع أن تتضاءل في دنياكم كل الأشياء
كي يسمو فيكم هذا الزمن الخصب؟
حين تجيئون زرافات أدرك أن الباقين
قُتلوا في زمن ما
أدرك أن الشعراء الباقين هنا
هم أبناء الشعراء القتلى والمعطوبين
وأراكم فأقيس مساحاتي
أدرك ان قصيدة حب لن تسمع إلا في زمن الحب
وأغادرني منتشيا بالشيق من نعراتي
هل تعذرني هذه القاعة ياروبرت روجديستفنسكي
إذ أرفع صوتي مسكونا بالعشق العربي الباكي

مقتولا في الوصل وفي الهجران؟
هل تعذرني إن كانت أحزان العاشق في الوطن العربي
سيدة الأحزان؟
أالليلة أرفع نخب الزمن الرائع يا روبرت
أالليلة بالوطن القاتل في مشيته أحلمُ
بالبسطاء يزيلون العرق اليوميَّ
ويأتون صفوفا كي يهبوا الشاعر وردا، أحلمُ
بالعشق الأنقى، بالخبز الأنقى، أحلم
ما أروعني الليلة يا روبرت وما أوحشني
إذ تفرغ هذى القاعة ممن فيها
يسرقني منكم زمن الحب العربي الباكي
يسرقني زمن تنبغ فيه الشيخات
زمن تخلق فيه المرءَ جديداً كل صباح
سيدة تركب شفرة مينورا
زمن نهضم فيه الجوع بدانون الإشهارات
ما أروعني الليلة يا روبرت وما أوحشني
إذ تفرغ هذى القاعة ممن فيها
يسرقني منكم زمن الحب العربي الباكي
فأمد إلى الشمس يدي، سيدتي
أيتها المعشوقة مذ صار الليل صديقا للقتلهْ
هُزي حنجرة الشاعر في وطني أو دكيها
كل الشعراء لصوص يا سيدتي
ان سرقوا الدنيا واستتنوا النارْ
كل الشعراء لصوص غشاشون ومحتالونْ
إن قبلوا هذا الزمن المنهارْ

أيها الجرانيت، كن جسدي وتقدم

يتقدم في جسدي شارع غوركي
أكتب شيئا عن سيدة غسلتني بالدمع قبيل رحيلي
أرسم صورة عينين، وأهمس، هذا مِلكي
فيناقشني في الممتلكات دليلي
شارع غوركي ملتفع بأناقته
مثل حبيب يخرج يوميا للقاء حبيبته
شارع غوركي يتقدم
مغسولا بهواء سراديب المترو، ومذاق الكافيار
تسألني أنت عن الوهج الراشح في عينيّ، تكاشفني
أخلق من جسدي حجراً كي أحلم بالزمن الآتي
شارع غوركي يمسح كل روائحه في خطواتي
وأنا. . . أنا هل يمكن ان يرفعني وطني فوق الجرانيتِ
كما ترفعني الآن على الجمر لغاتي؟
إني أتوحد بالجسد الحامل في يسراه كتابا
لكنّ الزمن المقلوب يعيد إلّي الصحوَ، أراني
أحمل فوق الكتفين الحجرا
وأرى ماياكوفسكي
يعلو، يعلو، فوق الجرانيت أرى
شارع غوركي يكمل رحلته متشحا بزهور اللوتس
وأراني أنشد إلى حي ما، في وطنٍ ما
نحرق فيه الأعصاب، ونجزى بالنسيانْ

حدثني، هل يُنسى عشاق الحرفِ هنا يابرهان؟
أما أنت، فمزقني عشقا يا وطني
حتى ترفعني فوق الجرانيتِ، ويا امرأةً
غسلتني بالدمع قبيل رحيلي
انتظريني، قد أفقد كل الدنيا
لكني لن أسمع أقوال دليلي
شارع غوركي يتركني الآن ويرحل، ترحل في جسدي أُبهة
يرحل أطفال يمتشقون اللوتس
إني أنقر بالسبابة جمجمتي
وأقول امنحني يا شارع غوركي جسداً آخرَ
ولتمنح وطني ذاكرة ليس بها ثقب كي يرفعني فوق الجرانيت
وشارع غوركي يتركني الآن ويرحلُ
أستمهل حزني خمس دقائق. . . هذا وطنٌ ليس لنشوته حدٌّ
هذا وطن تصبح فيه اللفظة أثمن من وجبة كاڤيار
فارحل يا شارع غوركي
أدركت بأني كي أُرفع مزهوا فوق الجرانيتْ
لا بد إذن من أن أرفع فوق الكتفين الحجرا
لا بد إذن من أن أرفع فوق الكتفين الإنسانْ
ارحل يا شارع غوركي
لن يولد فينا الشاعر بعد الآن
حتى يقفز من طفل يلهو باللفظ إلى مشروعٍ بني!
لا تسألني عن هذا الوهج الراشح في عيني
لا تسألني يا برهانْ
أنا مسكون بالعشق، ومسكون بالوطن المحروقِ
ومسكون بالجرانيت، ومسكونٌ بالطوفان

تـروبـــادور

إلى المرحوم خليل حاوي

ها وردة أولى :

هي الأرض التي تحبو علّى كتفي تترك في القصيدة لحمها
وأنا امتداد الحلم في الجسد المحاصر بالكتابة
لا شيء ينقدني من الأرض التي تمشي
سوى الأرض التي تأتي
وليس رحيل أحبابي سوى مرٍّ سحابهْ
وأنا أحبك يازهيرات الخريف . ولكن، كيف أمشي
وعلى جفنيك ظل من كآبه؟

ها وردة أُخرى :
هي الموت المؤجل وهي خاتمتي الغريبه
والتي تأتي لتسأل عن دخان القلب تُحييني
تضيف الى سنين العمر شهرا
عندما أنحاز للموت المؤجلِ أستضيء بنجمتين
واذا أتت، أرتاح ساعات وأُسبل دمعتين
وأنا امتداد الحلم والموت المؤجل كلما نبتت بقلبي وردةٌ
أحسستُ أن جراحه تزداد شبرا

الأرض أرضي، لا حدود ولا جوازات سفر

فقراؤها أحبابها، أصحابها، ولهم حكايات طويله
والتي صعدت إلى الأعلى يلامس كفها سطح القمر
أما التي هبطت إلى أرضي فأهدتني جديله
وأنا امتداد الأرض ليس لديّ غيُر تُرابها
عصفورةٌ سُرقت، وقلب يرتمي في الطيِن
ليس لديّ غيُر سويعة لو كان يكشف سرها، نطقَ الحجرْ
وأنا امتداد الأرض ليس لدي غير همومها
وأحبتي الفقراء في الأرض التي تمشي
وحكاية خبأتها حتى يبللها المطرْ

لأني أحس بأن النهاية أقربُ من شفتي إلّي
ستفتح كل الحوانيت أبوابها لو رحلتُ
تُقام الولائم في الصيف، يبكي عليّ
عزيزاً عشقتُ، وعاما يفتح أبوابهُ للقمر
وينمو السؤال المقدس فوق جبين ابنتيّ
«أبي . . . أين راحا؟
لماذا إذن لم نعد نرتخي بين حضنيهِ
حتى ندوب ارتياحا؟»

لأني أُحس بأن السياحة في الأرض ليست تدوم دوام العمر
وأني على الأرض سائح
سينبت في جسدي من بقاع البلاد التي قد رأيت شجرْ
سيذكرني لحظة في المقاهي التي عرفتني
رفاق رأوا جبهتي تتغضن قبل الأوانْ
يقولون راح هدراً وهدراً

وكان يطارحنا الهم حيناً بهذا المكانْ
وحيناً يخبىء حزن البلاد وراء ابتسامته
ثم كانَ وكانَ وكانْ . . . !

لأني أحس بأن السفينة تهوي الى مستقر ولا مستقرْ
وأن الربيع الذي وعدوني به ليس غير الخريف
صرخت من القلب : لا
لعصفورتي أن تعود، لقلبي حنينٌ أحب أبوحُ به
لبلادي التي شردت أصدقائي يدٌ تمسح الدم عن جسدي
صرخت من القلب : لا
وأدركت أنى أميل إلى البحر مرتحلا
واكتشف الزيف في هِزة الرأس ، في بسمةٍ، أو حديث «لطيفْ»
واكتشف الموت يرصدني في الممر
ويطرق بابي في مكتب أو يتابعني في الرصيفْ

ولستُ جديراً بكل النساء الجميلات
إني جديرٌ بكل النساء اللواتي
يفتحن للشعر بابا يؤدي إلى غرفة النومِ
لستُ جديرا بكل بلادٍ يكون المرور إليها جواز سفر
جدير بكل بلاد جوازاتها أن تحب القمر
وأن يملأ الكادحون بها المدنا
لذلك أرحلُ عنكم وعني
فما وجدت نبضتي مستقرا، ولا جسدي وطنا

البيضاء يوليوز 1983

أعلَنتُ عَلَيكم هَذا الحُب

يا وطني فاشهد
ها قد بلغتْ
من أنباء المشهد
ما قد أبصرتْ

وسآتيكم في العام الماضي بحكايات أخرى عن عاصمة الاسمنتِ
وفي العام المقبل قلت لكم سيشب حريق من أقصى حي «الكدية»
حتى آخر سرداب في «سوسيكا»، قلت لكم أشهر حبي في
وجه امرأة تمتص حنيني، وتحدثني عن بعض مشاغلها الصغرى
فأرى وطنا يتربص في عينيها البنيتين. .
ولكني في هذا العام أرى مدننا تخرج من عدس كي تحترف «السميرفَ»، أرى
أضرحة تتحدث عن تحديد النسل
وفي هذا العام أودع قافية صلبتْ فيَ بيروتَ. . وعنكم أروي
عن أطفال الاسمنتِ، عن الفولِ المسلوقِ على نغمات الغيوان بقيسارية
الحيِّ
عن النسوة اذ يتصفّحْن على مهل أدوات الزينة،
عن جيل يولد في «الجيرك»، وينشأ في «الريكي» كي يكبر في «السميرف»
ولا حول ولا قوة إلا بالعدس المسلوقِ وبالشاي البائت
وسآتيكم في هذا العام الفائت
بقصيدة مدح مطلعها مرثية للزمن العربيّ، وآخرها غزلٌ أرفعهُ
للسحن الموشومة بالقهر هنا بدءا من جسدي حتى آخرمثقوب في بيروتَ
وما بين رثاء وغزلْ
يثقبني حزن ويخيط الثقب أملْ

يا وطني فاشهد
ها قد بلغت

من أنباء المشهد
ما قد أبصرتْ

أشرقتِ الشمسُ على قيسارية فغطت بيروتْ
وتقاطعت الارصفة المدهونة بالدم بالأرصفة المسروجة أطفالا
يقتنصون الحلم بعقاراتٍ، وبوجه آخر للملكوتْ
قلت لكم ما لم يخرج من بين الشفتين، وها قد جاءتكم بينةٌ
تحتاجُ الى شفةٍ
فليتكلم منكم من يُسكت زرزورى حتى أتحول نحو القلب لارتقهُ
أذكرُ أني لم أرحل في جسدي من زمنٍ
آثرتُ المشي على نبضاتي كي التقطَ الممكن فيكمْ
مَنْ يتسلمْ منكم هذى اللعنات المدعوة شعرا، اسلمْهُ الراتبَ والباقي
مما تعطيه وزارات الشعر
أقول لكم فيما مَرَّ كما قلت لكم فيما يأتي:
أحتاج الى عامين من الصمتِ لألتقط القافية الأخرى من إسْكافٍّ
أصلح كعبي بدلاً من أن يرتق بالمسمار حذائي
أحتاج الى شفة أخرى كي أخبركم عما يسكن وسط ردائي:
المجدُ لسيدة تعرض في الكورنيش مفاتنها
والمجد لاطفال «السيليسيون» المنسلين بداخل حافلة الخط الثاني
المجد لِمَنْ يحلم بالطيران إلى روما أو باريس ليغسل صحنا
والمجد لكل الشعراء المثقوبين بهذا الوطن العربي.

يا وطني فاشهد
ها قد بلغت
من أنباء المشهد
ما قد أبصرتْ

«قال لها سميني ما شئتِ ولا تَبتعدي إن اسميتُك ما شئتُ
وكان الكورنيش على أهبة شمس تغربُ
والبحرُ كبير يا نينا ان كان الكأسان القهوةَ والليمونْ
والقلبُ يسافرُ من سُرعة نبضٍ لجنونْ
«قالت حتى لو زفوني ستظل على كتفيَّ العصفورَ
وما يفصلنا، زمنٌ أسرع في خطوته!
أية رائحة يمكن أن تنبت في بيروت القلب وأيُّ الأحلام تُباح
حين أُحسُّ بأني في هذي الدنيا أصغرُ سواح؟...
وأتيتك ياحيُّ، ويا ميتُ أحمل أوراقي لقيادة جيش ينتزع الصحراءَ
من الجائع في اثيوبيا
جئت أمارس حق الڤيتو ضد جنوب يتمركسُ بالمقلوبِ. أُطالبُ باسترجاع
القلب، أطالب بالأطراف المبثورة من جسدي
كي أمنح نينا جسدا أجدر بالعصر، أُسافرُ فيكم
وعلى ظهري خارطة ما اكتملتْ بعد لتسكنني شمسٌ
ويحيط بأنحاء الرأس قمر
ليدٍ مدت صفحة شِعر لامرأةٍ، فامتدتْ يدُها للشاي أُغني
لقوافل ترحل في الأُوديسا... طروادةُ ما عادت تجدي
وأنا أبحث عن فرس وأغني
لبناتٍ يتربين على أشرطة التلفزيون، أُغني.
لطواقيَ «قشبلَها» الشيْبُ و «زَرْوَلَهَا»
للسوق أوجه أغنيتي كي تدخل حرباً خاسرة ضد الشيخاتِ، أُغني
لشتيلا تتحول في العام دقيقة صمتٍ، لمذابح بيروت أغني،
من يسمعني منكم فليتبعني.
كي نقذف اسرائيل بحاء لا تعرفها لغةٌ أخرى

حاءٌ في الحب، الحرقوص، الحوتِ، الحرملِ ، بالحاء نُحوقلُ
من يسمعني منكم فليقذفني
بمقالة نقدٍ عن كيفية استعمالي «حتى» وَلْيَبْنِ محطته النووية
كي يجمع كل الاشعار المبنية وفق موازين السلف الصالح
فلعل قصيدة هجو تقذف اسرائيل الى البحر . لعل الشيخات المتشحاتِ بما
لذ وطابَ من الذهب اللامع يهدمن برقصتهن على «الجفنة» مبنى الكنيست
وأقول لكم غنيتُ . . . وأعرفُ أن هزائمنا تبدأ من كل زقاقٍ في الوطن العربيِّ
وهذا جسدي
فليتقدم من يثقبه بدلا من حبات الاسبرين
أعرفُ ان الزمن القادمَ نحو براريك القصدير وسيمٌ وثمين
ولذا جئتُ أغني
وأنا أرفض أن تحتشد القاعةُ بالتصفيقاتِ، وأن تُهدى لي باقاتُ ورودْ
للتصفيقاتِ وللوردِ الزمنُ الآتي
يومَ يشارك كل منكم في أغنية واحدةٍ تخفي كلَّ لغاتي

يا وطني فاشهد
ها قد بلغتْ
من أنباء المشهد
ما قد أبصرتْ

لا تقتربوا مني
ستصابون برغوة حُزنٍ لا تغسلها سُحَب
لا تكترثوا لتفاهاتي . . فأنا ممن يحمل وحدهْ
جمرةَ مارسيلَ واشراقة وردهْ
من منكم يقدر أن يشرح لي ـ وأنا المتناقض فيكم ـ
كيف يفيض بهذا الوطن المسلوق ببيروتَ

وحين تهز «الشيخة» ردفيها ينسى وطناً كي يدخل غِمدهْ
وأنا المتناقض فيكم
أرتاح إلى وردة اذ تتحدثُ عن قيم لم توجد فينا بعدُ
وأرتاح الى مارسيلَ لان القِيمَ المعدومة فينا ستجيئْ
وعلى نغمات الغيوان أطيُر بكم من قيسارية الحي الى «ويشيتا»
أنقلكم من باريس إلى جده
كي أتحدث عن دنيانا «المهمومة»
عن وطن عربي يتوحد في أغنية كي يتفرق في جلساتٍ ممتدَّهْ
وأطير بكم عبرِ بنادير الشيخاتِ الى الاولمبيا
فردة ثدي واحدةٍ منهن تحطم اسرائيل
وخصرٌ يعقد صفقة أسلحةٍ
لا تقتربوا مني
قلت لكم ستصابون برغوة حزن لا تغسلها سُحبٌ
أعرفُ أن قد تحتاجون إلى وقت كي نخرج من ردف الشيخة والبنديرِ
وأعرف أن شهورا ستمرُ على السميرفِ
ليولد فينا ايقاع عربيٍّ يجمع ما نملك من عُدَّهْ
ولذا أعلنتُ عليكم هذا الحب
ولذا أعلنت عليكم هذا الحب

الصعود إلى الهاوية

ملاحظة

(في القصيدة تجاوزات وزنية واضحة . أشير إلى أنها مقصودة)

قررت الليلة أن أستعرض أسلحتي
وأقول لريحي هبي
قررت الليلة أن أنشر بعضا من أسراري
رأسي منفتح الشباك لريح الغرب وريح الشرق
ولا شيء يهز مداري
في البدء بحثت عن الصوت وكانوا اغتالوا حنجرتي
في البدء بحثت عن القسمات وكانوا
وهبوني أقنعة شتى
فخلعت الرأس وركبت إناء يجمع بين المتناقض
بدءا من عجرفة الملك الضليل
إلى آخر منتوجات القباني
فإذا بي أسقط محترقا قبل بزوغ نهاري
كانت بيروت على أهبة شنق
والخرطوم تمارس قطع يد السارق
قلت لكل عواصمنا سيئة لن يغفرها حج
واتكأت عيناي على طفل يخرج من بين الانقاض بتل الزعتر
كي يدخل صبرا
متشحا بكهولة من عرك القتل
وعيناهُ على قدس تصبح مستوطنة للفاشيست

فكان قراري
ان الشعب الساكن في البارود هو الأجمل فينا
ماذا يبقى حين يقتّل أبنائي وتهدّم داري
غير رصاص ورصاص ورصاص

أولمتُ لهذا القاطن في جسدي من سعف القلب شراييني
وارتحت على متكإ أستجمع بعض القسمات ، أرتبها
كي أعطي طعما لنهاري
منكوب بعض حنيني
فالتقطوا ما خلف البسمة من حزن ودمار
مشروخ نصف جبيني
دمويّ قلبي
فانزلقوا في جسدي بضع دقائق تكتشوا جزءا من أسراري
لا لغة تسعفني
لا مطر يتساقط من سعف الرأس ليخفي دمعي
أنا بيجماليونُ وبيجماليونُ أنا
كم من تمثال شكلت ليهرب من بين يديَّ
وينكر جهرا آثاري
ليد تقطف حبات حنيني ابعث مرثيتي
لذراع تستوطنه خاصرتي كم وسّعت حدود أقاليمي
فانكمشت
قلت سلاما أيتها المدعوة بيروت
فقالت وعليك البارود

نثر البحرُ على كتفي زبده
وانزلقت بي عرباتك يا بيروت
اقسمت بأن ابحث عن شرقي حتى أجده
فإذا بك تختزنين عواصمه داخل تابوت

هل قلت لماذا يكتنف البحر جبيني؟
في البدء اتكأ الموج على خاصرتي
قال تحدث عن جهة الجرح
فأسرجت حروفي لسفائن ترحل من صيدا
ورأيت البارود يزوجني ببنادق من لبثوا أو من رحلوا
كانت بيروت على مقربة من أسماء الله الحسنى .
فاتسعتْ للشيق فينا
نهرا يهبط من بيروت إلى القدس
فهل قلت لماذا قصفت طائرة روض الأطفال؟
وهل احتاج إلى دفتر احصاء
لأعد القتلى في تل الزعتر أو في صبرا وشتيلا
كنت هنا أسرج قافيتي لحنين يغدر بي
وببيروت بحثت عن الجسد المشروخ
فادركت بأني كنت قتيلا

هل قلت لماذا يكتنف البحر جبيني؟
للأزرق رائحة الكسحان، رويت عن النعمان عن ابن جلا
أن الخبز المحروق لآلاف القطعان
وللسادة رحلة صيف يفتتحون بها أرصدة في البنك
وشتوية للرقص قليلا

والآن الآن كما كان الأمر يكون
مرت طائرة فاشتقت إلى زنبقة تنبت بين خراب ودمار
والزنبقة الآن سناء
مرت دورية فاكتشفتني ضيعتُ مفاتيح الدار
والمفتاح الآن سناء
ولها في شاطىء رأسي مشروع قصيدة

قالوا مت غيظا يا عبد الله
لن تشرق شمس
فالنهر يواصل مسراه
وكلامك حشو مُندس

والآن ما يبقى تأسس في القصيدة
لا خندق يحمي من الموت البطيء ولا الميراج تقلع من مطاراتٍ
خرابك يا بيروت يدفع للبكاء وليس يدفع للرصاصِ
أقول لا وأقول لا
(خمسة وثلاثين من سنوات هذا الجيل ننتظر الاشارة لانفجار شيق
يهب البلاد خريطة أخرى
خمسة وثلاثين من سنوات هذا الصمت نرقد في الخطب السمينة
نستجير بمجلس الأمن الموقر
والطائرات تغير من بيروت حتى القدس . . لا)
وسناء أجملنا وأحلى

واستطاع الوجه أن يروي حكايته الجديده
لم تخبىء جثتي روما ولا دفنت رفاقي

مرة أحبو على صدر جريده
مرة أسقط مزهوا بمماتي

لم نشتعل بعدُ اشتهيت البحر يركبني
فأولني لمخيم ينمو على جرح ويرتاح على صدر قصيدة
لم نهيىء جرحنا للياسمين البحرُ فينا
والبحرُ ليس لنا
فلأي موج نشتكي والموت رقصتنا الوحيده
علميني كيف اختزن انكسار الحلم في جسدي
إلى أن يترك القمح مكانا للطائرات
إلى أن ينهض الشهداء
علميني كيف اجتذب السماوات البعيده

بيروت يا بيروت
من قال ان الذي عجنته قذيفة سيموتْ
كل من أسلم روحا في رصيف أو عماره
خبأ عشرة لغمه الموقوت

من يقول الآن لا
للبحر رائحة الرماد ولاكتشاف اليابسه
طعم الحريق. رأيت صبية وضعت على صدر القتيلة رأسها
فتحت صدار الام وامتصت من الثدي الذي ثقبته رصاصة دمهُ
هل كنت أحلم؟ فاعذريني ان تركتك لحظة
والموت أوله السكوت، رأيت فيما يرى نائم
أن الطريق إليك تفتحها مذابح إخوة دخلوك باسم فك حصارك اليومي.

لكن قد أقاموا
في كل شارع بعض المتاريس ومشنقه
ليهود خيبرمتراسٌ وللفدائي القذائف والسهامُ
اعذريني أيتها المدينة ان اتيتك مرة أخرى
لا جواز لديّ ولا حقائب
أحمل النار التي لابد منها قبل أن يأتي الجنوب إلى الشمال معانقا
وسأكتفي بتحية للواقفين على بوابة القدس العتيقةِ
حاملين بنادقا

بيروت صرختنا الأخيرة لا
بيروت رحلتنا إلى المدن الجديده
معذرة درويش قل فيكم قد تجلى
أوديسيوس في عودته العنيده

من يقول الآن للكرمل لا
أطفالنا عرفوا مارسيل قبل فطامهم
والقدس تعرف أن طيورها تأتي متى نبت الجناحُ
وتلك سناء شاهدهْ

العاشق احترقت حبيبته زوالا
الزوج ودع طفليته ولم يعد
والأم تحمل صورة للزوج تحت صدارها وتقول يأتي
وتعرف أن من حمل الدخيرة قد يعود ولا يعود
لاشيء يخسره فدائي سوى كل القيود
العاشق احترقت حبيبته زوالا

صلت على القدس الجريحة ركعتين فما تركت لها
ان تبسط الكفين نصف رصاصة
والعاشق المطعون بين قذيفة وقذيفة
بسط اليدين لعل الموت يطرق بابه المسدود
هذي سناء
فمن منكن تشبهها
(تركت قص الحواجب والأظافر إذ آمنت بالوطن الذي أكل الخرافة
في المدارس والجامعات
فلم تصبغ أظافرها ولا وضعت على الشفتين ذاك الأحمر الشفاف)
تلك سناء، أجملكن، أروعكن في الموت الذي يهب الحياة
تلك سناء مزقت الدواوين التي كتبت
لتحمل جسمها للنار
من قال ينانار كوني البرد أو كوني السلاما
ركبت سناء قصيدة أولى فغطتنا جميعا
فلتحترق كل الدواوين القديمة والجديدة
كل قذيفة عجنت مقنبلة فهي القصيدة

خريف الدار البيضاء

(حين قرأت الحرف الأول من «أعلنت عليكم هذا الحب»
ضجت قاعة عبد الصمد الكنفاوي ، اذ رفض الجيل الممسوخ
كتاباتي
لكني سأوسع من جنبات القلب.
وأقول لجيل يتخنت: تلك بداية حرب تشعلها كلماتي)
لم أتعلم كيف اغازلكم
استغرب كيف امتزج السميرف بدقات «البندير» وآهات السنتير
واستغرب أكثر حين اختلطت كل الايقاعات
فلا السنتير يذكركم بالجوع ولا حركات الأيدي في السميرف
تذكركم بالدم في بيروت
أعلنها الآن حروبا أوسع
لن اترك هذا العصفور المدعو شعرا يسكت
حتى يتغير فيكم ما اعوج من الملكوت
اقتل . . ليس مهما
ترفضني كل جرائد عالمكم . . ليس مهما
يكفيني ان اكشف عن هذا الجيل
المكبوت
شعرا يتدلى فوق العينين، وسروالا بلعته مؤخرة
ومجازر صبرا وشتيلا، حمامات الدم في بيروت، وقيسارية الحي
تنادي أجيالا تقتات على مشتقات الال . ا . س . دي . وتحرك
اردافا واكفا، فأراكم عند نهايات السميرف الاعرج
ترتاحون إلى عرق وسكوت
لم اتعلم كيف اغازلكم
اعرف من أين اتتكم هذي اللعنة، من جاء بها،
لكني اترككم للزمن الآتي.

اترككم للخط الرابط بين براريك القصدير وسمرفة تحتاج إلى تغذية
اترككم بين الخبزة والشاي وبين الكافيار
ولكني لن اسكت ضد الطاغوت
اقتل . . ليس مهما
ترفضني أوجهكم، تصفيرات الخنثى منكم، ليس مهما
فانا اعرف أني جئت لاهزم في أجمل أيامي
لكني لست المهزوم، فلي آبار من أحلامي
اعترف الرفض وأمشي
اتحداكم بالجهر وأمشي
وعلى قسماتي شمس تشرق . . والرفض مدامي!

* * *

احبابي في الحي لقد اعلنت عليكم ذاك الحب
كنتم شحاذين، وكانت كل عصافير الدنيا فوق أياديكم
كنت أحس بأن الصفصاف يليق بكم .
ورحلت إلى الجهة الأخرى، فاحترقت بين السميرف لغاتي
والآن سأعلن في الأرض بطاقة هويتي :
أنتم أرضي وسمائي . . والجهة الأخرى ناري ولهاتي
أعشق فيكم كل تجاعيد الوجه، الكسحان، العميان،
ذوي الحدبات، الموضوعين على الهامش، أعشق فيكم
أن تنمو هذي الكلمات المنزوعة من نبضاتي
تورق مثل اللبلاب على أكتاف الواحد منكم، تعلو، تعلو،
تتحول ظلا يوقف هذا القيظ، وفي الجهة الأخرى
ليس مهما أن ترفض خنثى بعضا من كلماتي

ما الفارق بين الكورنيش وقيسارية الحي؟
ما الفارق بين النافورة والكدية أو سوسيكا؟
ما الفارق بين حياة ريجنسي وبراريك القصدير؟
غير الأحلام المنزوعة منكم كي تتوسع دائرة الطبقات
أحبابي، أهلي، أشعر أني حين أغادركم أفقد أوراقي
أشعر أن حذائي ليس نظيفا
أن لباسي مربوط بالاسمنت
وأن ملامح وجهي تفضحني بين الطرقات
هاأنذا ودعت الشكدالي الباحث عن ميشلين
كتبت مراثي للزمن العربي الباحث عن خوذته
وانسل القلم الأحمر يروي عنكم، عني، أشجان حياتي
يبدأ عشقي من حي الكدية منزلقا نحو البحر فتتبعني الأمواج
من البحر إلى حي الكدية.. أسقط أو أتعثر، ليس مهما؟
أرتاح إلى النبض الزائد في بعض شراييني
وأخبىء في زاوية في الصدر بناتي.
أحبابي، أهلي ـ والعشق يحولني صوفيا ـ ما أروعكم!
لكن الجهة الأخرى إذ ترتاح إلى السميرف تقص جذور العشق
وإذ تتحدث عمن مروا منكم صوب حياة ريجنسي
تقتل كل نباتي

وأنا أقسم أن اعلنها حربا ضد الشعر الساقط فوق العينين
وأقسم أن أحرق كل لباسات السميرف، ولكن هاتوا أيديكم،
فبغير الأيدي لن تفعل شيئا كلماتي
هاتي عينيك قليلا، قلبانا من زهر اللوتس وجرحانا
يتفتح الواحد في مبتدإ الأسبوع ليتسع الآخر قبل نهايته بقليل

هاتي عينيك فللشعر خناجر لا ترحم
هاتي عينيك فليلا.
حزنك بني وأنا أملك من هذا الحزن الصاعق في صدري منجم
غنيتك حتى بح الصوت، ورف يمام اليتم على خدي
وأغنيك الآن لانك أنقى من دمعة طفل لم ينضج بعد لكي يفهم
إن الدالية المسقية في صدري تحتاج إلى بسمة شمس وأمل
إن الدالية المروية في صدرك بي تحتاج الى «وحدي» حتى لا أقسم
غنيتك، هل أحتاج إلى شق القلب لرؤية سرداب،
أنت الشمعة فيه وأنت الماء، النخل، وهل أحتاج إلى موعظة
كي أصرف عنك رموشي.. وأنا بركة دم؟
هاتي عينيك.. وما ينقص وجهك أكمله
فأنا ادرع بيضائي من حي البرنوصي حتى الحي الحسني، فلا
أبصر إلا مرثية تنمو. أجمع أوراق الكاليبتوس وأقرأ شيئا من
قسماتي فأراك، ألم جميع كتابات العشاق أراك... ولا أفهم
كيف يضيء الشمع.. وما تبصره العين من البقع السوداء
تلصقه لليل، وتضحك، تضحك أشجار الكاليبتوس
وتضحك أوراق العشاق. ووحدي، وحدك
من يعرف أن المتأهل للموت كثيرا ما يهزم
وغدا تحتفل الدار البيضاء بآخر حفل من حفلات السميرف.
غدا
يأتينا إيقاع أشبه بالجدبة، تأتينا أفلام الجنس المكشوف
ونسهر ليلا داخل أشرطة
سيكون الأبطال بها دكتورا ومهندسة
نسهر بين الاشهارات وأحوال الطقس، غدا
تمتلىء الدار البيضاء بأحدث أنواع الماكياج، الألبسة

المصنوعة خصيصا للخنثى وغدا
تفتح قاعات تختص بتذويب الشحم
هانحن دخلنا الغرب من النافذة الأوسع
خلفنا بيروت لمن فقد الساقين، وخلفنا قيسارية الحي
لبائع فول مسلوق، آثرنا أن يترك فينا السميرف
يدا تعوج، وساقا تحتاج إلى ضربات السوط لتستوي المشية
آه ياسيدتي، قلبانا من زهر اللوتس
وللشعر خناجر لا ترحم

* * *

لم أتحدث عنكم أنتم، سأضمد جرحي، استجمع كل عتادي
كي أعلن حربا ضد الايقاع الفاسد فينا
ضد الموت، التخدير، الخبز المعجون بأحذية. ضد حداثقنا
«عفوا أقصد كل مزابلنا»
وأنا من زمن أعلنت الحرب على ذاتي، ونشرت على خاصرة
الريح جهادي..
أما أنتم يا أهلي، فلكم أن تختاروا الزمن الشيق. لكن
ليكن مبتدأ التغيير من الجمجمة المحشوة بالفاصوليا
فالزمن الشيق لا يمسك من ذنب.
لا يستورده قارب صياد حين تنام عيون الجمرك. بل ينبت من
أعماق الذات على شكل نخيل يحتاج إلى قلم ومداد
لم اتحدث عنكم أنتم، فالعصر الآتي منكم يأتي
لكني أرفض أن أحشى في ثوب أبيض، أن تتجمد كل حواسي
داخل قبر وأنا لم أملك فيكم بعد شهادة ميلادي
معذرة.. سأصارحكم:

تحتاج حماسات السهب إلى فارس أحلام يتقن «سمرفة»
ولديه سراويل تختلط الألوان بها، ودفاتر شيكات
معذرة. . سأصارحكم: أنا لا أملك إلا الثوب العادي
أحيانا أقتات على عدس، أمشي بالقدمين كلمترات
أحيانا أشعر أني أكدح شخص في دنياكم
فأذوب قليلا، لكني أرفع رأسي مزهوا بعنادي
لم أتحدث عنكم أنتم، فأنا أنتم.
أكمل راتب شهر في عشرة أيام وأدق بقية أيام الشهر
خياما بين الجزار، الخضار، البائع للخبز. . .
فهل أفصح أكثر عما يجعلني أعزف عن زادي
في كل مكان أتلقى الطعنة تلو الأخرى، والقلب الفارغ، أكثر
ثلجا من سيبيريا، لولاكم، لولاها.
ما أوقفت نزيفي وصرخت بلادي. .
لن أرحل عنك وعني، لن أسكت حتى ينفتح الباب المغلق
لن أسكت حتى ترجع نينا كي تمسح عني عرق اليأس
وتجمع من احياء الدار البيضاء رمادي. . ؟

توشية من بسيط الرماد

إلى الأصدقاء جميعا قبل أن يعود أوديسيوس من رحلته
الطويلة وعلى الخصوص الصديق مجيد حاتم

سأسميك علانية بيضائي
سأسميك علانية موجدتي
وأقص أمامك شعري
سأسميك البحر، وأبدل بالقلب المثقوب جهازا آخر
لا تدخله مدن إلا سجنت
ها بعض القمل يستسبع في الأسبوع، يجاورني
ثم يحرف أجوبتي
يأخذ ألفاظا لا يفهمها. ينفخ فيها كي تصبح عنوانا
فإذا بي أقدر من بروميثيوس على توزيع الحكمة أو أشعال
حريق !
من قال بأني أطعن أهلي ؟
من قال بأني غيرت طريقي ؟
سأسميك علانية موجدتي
ولعلي أقسمت بأنك هذا الشيء الواقف بيني حين أذوب
وبين الموت
فلا تدعي شعرك يلمس خاصرتيك
ولا تهبيني إلا بسمتك الممزوجة بالند
وما يبقى . .
يتأسس في صدري حلما أقتات عليه إلى آخر أيامي

أقرأ في الطرقات ملامح وجهك أيتها البيضاء الزرقاء
أرتاح على سيقان الشجر الوارف
لابد إذن من ورق ومداد كي لا يفلت مني ثلث كلامي
أما الثلثان فلم تجرؤ مفردة أن تحمل بعضا منه
لذلك ينحت في أحشائي
يبني مدنا ثم يدمرها
يرسم جسمك ممشوقا من سيدي البرنوصي حتى الحي
الحسني وتمشين معي . . نتحاور بالبسمة والنبض الزائد
ثم أدير الرأس يمينا ويسارا
فأرى أني اغرق في أوهامي !
للدار البيضاء نوافذ شتى
من عاشرها يعرف أن حنينا قد يخفي حقدا
ان الحب رصاص
ان الوجه العابس في مقهى ما، قد يخفي فرحا
للدار البيضاء نوافذ أكثر من أن تحصى
ولذلك أبحث عن وجهي وأحاول أن أهرب من أحلامي
سأسميك علانية طعنة حب أو قبلة حقد مجنون
أنت المفتوحة للموج الحامل ما ليس يرى
أنت المرمية بين شتاء الغرب بقفطان محلول الأزرار
وهبتك قلبي ، فإذا بك تعطين عيونك غيري
وتردين إلي القلب النابض مزروعا بالألغام
هل نبدأ من مرثية، أم هل نبدأ من غزل
كي نمنح هذا العشق ملامح وجه نرتاح إلى بسمته؟
أديت يميني
ومددت على الدار البيضاء حواجب من رافقها مذ كانت تحبو

حتى انفلتت من بين أصابعه لابسة فوق القفطان قميصاً
خط على ظهره I Love You . . .
وسوالفها العربية قصت من أجل الكوليستون فهل
نبدأ من مرثية أم هل نبدأ من غزل
أنا آثرت رثاء
قد لا أفصل أحيانا بين فتاة وفتى
فهل العصر تجاوزني لاظل على ظهر حصاني؟
أم هل هذا الزمن الابق ليس زماني
معذرة ان فاجأت القراء بمرثية تضحك
لي ولكم هذى الدار البيضاء
أرى فيها أجنحة ماعادت تكفي للطيران ولو بضع دقائق
أبصر من سحب الغرب سماوات تأتي وتروح، أرى أن مكاني
يتوزع بين المقهى وعيادات شتى
ولكم فيها مالا أقدر أن أملكه إذ تتجاوزني واجهة المتجر بال
أقمصة، الياقات، بدراجات نارية . . تنسفني أرصفة الاسفل
بفتيان في عمر الورد يلوكون حديثا عن أروع ما سجل في
المرمى
عن آخر أفلام العري أو الرعب
عن الفتيات المزهوات بأحدث أنواع الماكياج، ، فأهرب من
عنواني
معذرة إن فاجأت القراء بمرثية أخرى تضحك
ليست لي ولكم هذى الدار البيضاء
هي الاخر يلبسنا ويروح، ، فنتبعه وحدانا وزرافات

نتوجه نحو شمال ما عاد يتوق إلى الخبز، شمال

تتناسل فيه جماعات المافيا وعصابات السمورف
شمال يتحداني
لغة، ألبسة، رقصا وعطورا
لكني لن أستورد منتوجات القمل والسيفلس
لن أرحل منبهرا نحو شمال يمنحني صفة العصر
ليطمس في زبد البحر كياني
فأنا أعرف أن قد رضعوا من ثديي أمي
والآن أصدر نفطا كي أستورد مارضعوا: حانات، رقصا
ألبسة.. وأقص أمام أحاديث الغرب لساني
لن أغفر للقاتل طعنته المغروسة في الظهر ولن أسكت
كلماتي تتناسل في الصدر أرانب
هذا العش النابض في صدري ينغل بالألفاظ
وتدفع واحدة أخرى كي تخرج صوب الحلق فماذا أفعل
ما أملكه كلمات كلمات
لن أغفر للسمورف هداياه، رضوضا فوق العين
فتى يقذف من دراجته
بنتا تفقد كعبا والأخرى تذبح
شعرا يعلن حبا ليكون جزاء الحب صفيرا أو لكلمات
لن أغفر للصحف المرمية بين القدمين حوارا ملغوما
لن أغفر للمستشفى ساقا تُقطع مجانا...
صدرنا صدرنا، لكنا لم نستورد إلا الرقص الفاجر والياقات
نسينا رجلا حارب من أجل الغرب، وحارب من أجل الداخل
خمسين سنة
ونسينا أن مؤخرة الواحد منا تقضي أكثر من عشر سنين
فوق الخشب البالي حتى تسْوَدّ

ليقذف بين المقهى والبار، نسينا أن لنا صوتا يتميز بين
الأصوات
انا لو فكرنا لكشفنا عن قسمات لم يدركها غرب أو شرق
لكنا خبأناها كي نكشف عن وجه الآخر فينا إذ يتورد عبر
الطرقات
(لو كان إذن سهما لتجنبته)
لكن السهم الثاني والثالث يجعلني أفقد بعض هدوئي
ولذا اشهرت الحرب على كل سهام الدنيا بلساني!
أشهرت الحرب على إيقاع المافيا
أشهرت الحرب على من قطعوا ساق أبي
واختطفوا من بين سراديب القلب كياني
أحتاج إليكم، لا عجزا، فأنا أعلنت الحرب ولو وحدي،
أشعر أحيانا أن النسر يصير حمامه
وأراكم فأرى كيف يدق النسيان خيامه
لكني حتى وأنا أحتاج إليكم وزعت جيوشي عبر الجبهات
من منكم يضمن لي أن أربح حربا واحدة
تخلع عني بعضا من أشجاني ؟
لا تقتربوا من جرحي، هو بئر من نفط أحمر
لن ينضب قبل الموت ولاشيء يُغيِّب في التربة أحزاني
لم أطلب إلا نغمات السنتير لتأخذني جذبة صوفي
لم أطلب إلا المشي على ساقين اثنين
لكني أُقتل في الجبهات وأحيا
أملك قلبا ينبض بالعشق، فما أغرب دنياكم !
من منكم يتمنى أن أقبلها فليبق إذن منتظرا
حتى ينبت شَعْر في الكفين

لا تقتربوا من جرحي ، هو بئر من نفط أحمر
يقتات على الحلم فلا يزداد سوى فيضان
يأكل من جسدي فأذوب رويدا، يدفن أجمل أيامي
بين بصاق وشتيمه
أعرف ان قد أدخلتم إسمي في القلب
أعرف ان قد أخرجتم إسمي من دنياكم
لكني حين ألوذ بنفسي استغرب كيف أسمِّى السارق والكاذب!

استغرب كيف يكون العاشق متهما بجريمة !

مارس 1985

عبد الله يصنع جغرافية الحلم

إلى الدكتور عبد الله زيوزيو

ماكنت الأعمى إذ حمل المجنون الريشة كي يصنع للحلم سوالفه
ها جدران المستشفى في ابن رشيد تذكر
انك بين الألوان اللون الأنقى
وعلى مد العين تراءت أجنحة الموضوعين على الهامش والغرقى
في الذاكرة المثقوبة لا شيء يلم شتات الحلم
ولا حلم يلم شتات الجسد الملقى
بين الطرقات بصوت أوغل في هجمته
هل جاءك من آيات النقل كتاب
يا عبد الله الراحل في لحيته صوب زمان مجنون ؟
أم هل حل بك السهد فأطلقت لساقيك عنانا ؟
انت القادم من عربات الرفض وسيما كنشيد افريقي
يبحث عن نوتته
قل حين يقولون : أصابك مسٌّ
أعطيت الأحمق عقلا
ودخلت مسيحا في أزمنة العهر وما يبقى
من آيات القهر أرتله بالجفن الدامع
هل أفرغت القلب وأقسمت بالا ينبت فيه أحد؟
ان يبقى مثل الربع الخالي كثبان رمال ؟
قل : أنا لا أملك إلا بضع خيوط أسلك فيها الألفاظ
أدين بها من قتلوني واغتالوا صوتي
من يسموا لي ولكم هذا الخط الناجع
قل : فلتبتعدوا شيئا ما عن جسدي

ليس رصيدي في البنك سوى كلمات كلمات
وخطوط مساري تتوزع بين المستشفى والبيت
وأركان المقهى
قل افرغت القلب واقسمت بأن أقفل كل نوافذه
أن أصنع مملكتي من حلم
وحياتي من أمـل
والنبض الزائد في صدري أهديه لمن دمره الحلم اللامع
واعترف الآن فقلبك عنقود عنب
لستَ نبيا. لكنك تبحث عمن يقطف حياتك
حتى تتخلص من دالية جعلتك رسولا أو مجذوبا
قد يبكي في لحظات طرب
اعترف الآن لنا.
يحتفل الدمع بمسراه الى الذقن مراراً
وتود لو انفلت الجسد المثقل بالعشق
ليدخل دنيانا قلبا من قصدير وقصب
ترغب أحيانا في أن تتجاوز وزنك
أن ترتدي الألبسة الممتازة
أن تأكل حتى يطلب بطنك في التيه استغلالا ذاتيا
أن تضحك دون سبب
لو كنت كذلك يا عبد الله
ما أرق وجهك هم وتعب
لكنك لم تختر نفسك، ما حددت الموعد كي تقفز من رحم الأم إلى الدنيا
ما طفت الأسواق لتختار مزاجا أليق بالعصرِ، ولكن
تعرف أن بصدرك دالية
ولذا إذ افرغت رصاصك كنت المقتول

أَحاديث آخــر الليــل

(1)

في موقف حافلة كانت تبحث عن وطن يبحث عمن يسكنُه
قال خيالية أنت ! ، فقالت لستُ كذلك
وانتبذا جهة الغرب قليلا
قالت أعشق بودلير ! فأدرك أن اللعنة آتية
ها هو بعد مرور العام يراها تكشف عن ساعدها الأيسر
كي يبصر جرحا يتفتح مثل «زهور الشر»
وها هو يسقط في البن قتيلا !
قالت حاولت أغيِّب وجهي عن دنياكم
فانغلقت بين حواجبه مروحة
قال وماذا يعني أن أحضر حين تغيبين ؟
ولم يدرك أن قد نشر المكتوم
فغطته ببسمتها حتى أسبل رأسه
واتكأت عيناه على مرج هموم ، ، فانتبذ الصفصاف
وأفرغ في أربع جرعات كأسه .

(2)

وما بيننا غير هذا الهشيم ، تعيّنت في دمعة لسعتني
وأرخيتُ فوق الجبين ستارا

إذا الليل أولمني للهموم احترقت
وآه إذا عشت وسط الرماد نهارا
وما بيننا غير بيروت والبحر، هيأت مرثية وانزلقت إليها
فاوقفني في الرماد نشيج
كتبت مديحا لسيدة دفنت خمسة من عصافيرها
ثم لم تبك إلا اختيارا
وما بيننا ؟
أعرف الآن ما بيننا : نبضة أجهضتها خرائب بيروت
حتى استحال حديث العيون انتحارا
وأعرف ان حقائب بيروت ما انفتحت بعد
أعرف ان حقائب بودلير مفتوحة
عندما يخرج الآن من تيهه نلتقي بالمتاهات
لكننا نتحرك من أزمة الخبز والشاي
حين يمد إلي الموز كفّا، ويتخذ الياسمين شعارا

(3)

هي لا تكشف عن حضرتها في العام سوى مَرة
تقرأ شيئا مما خطته أصابعه
توقظ في عينيه جذور الحبق الذابل
ثم تغيب كما جاءت
سيدة الأحزان المَرة
قال : تعالى، قالت : ما جربت. . .
وكانت يدها اليسرى أقرب من يده
أمسك بنصرها
وأحس بأن هشيم الداخل يدفأ تحت الجمره

وافترقا . خبأ كل المكتوم وكانت عيناه رساله
وافترقا . بكت الزمن المسرع في خطوه
حين التمعت بين حواجبها فكره
أن ترفض هذا الزمن الداعر، بالموت
وأن تجرح شريان الساعد بالشفره

(4)

لأنك أجمل من جسد ثقبته البنادق أُعلن حبي
وأرحل من شجر يحتمي بي
الى غيمة عرشت كالمظلة فوق الجبين
لبيروت هذا المديح المؤرق
للفوهات التي تركت قاتلا واستدارت إلَّي، السلامُ
ولي أن أرابط في دكنة كي أمزق هذا الحنين
إلى وطن رفع الأنف بين كتاب الأغاني
وأسقطه في كتاب الرصاص
سلام على الأغنيات التي علمتنا الأنين
سلام على المنفلوطي
على هزة البطن ألف سلام وقُبله
سلام على الحب يقطر خبزا وشايا
فان ثقب الجيب أمسك طبلا ونايا
سلام على السادة المترفين
على كل من ترك السفح يوما وهاجر نحو السماء البعيدة
ليرسم خارطة لبلاد دعائمها من قصب
سلام على كل أغنية أو قصيده
أطالت نعاس العرب

(5)

ولها ما شاءت : بودلير يمينا
وفتى يحمل بيروت يسارا
تتردد أحيانا، تكتب أشياء ثم تمزقها
فإذا جاء الليل اصطحبت بودلير إلى غرفتها
وتحث الخطو إلى بيروت نهارا
ولها أن ترسم خطوتها بالأزرق أو ترقد في الكبريت
لها أن تتخذ الصمت شعارا
لكن، ليس لها أن تهرب من دمها المسفوح على كل طريق
وله ما شاء، امرأة تغسل باللبن خطاها
ومدائن تضحك بين حريق وحريق
يقفز من بين الطعنات إلى مقبرة
أو يكتب مرثية لحبيب ليس يفيق
وله أن يركب صرخته الأولى
أو يبحث عن جسد يقتات على سردين الاشهارات
لكن، ليس له أن يهرب من دمه المسفوح على الطُرقات

(6)

آه يا بيـــروت
الآن وقد منحوني جُبة أيوب أمسك باليسرى
نجمتي الأولى وبيمناي الصغرى
وأحارب ضد الذبح ولا شيء سيسند رأسي لو سقَطا
الآن أبعثر كل الأشياء، هنا شريان شقته الشفرة يوما

وهنا جسد يتفجر وسط الديناميت، هنا أبحث ـ
بين الرئتين عن إسم يجمع بين نقيض ونقيض
فاحس بأن الموت يدب إلي
ولذلك أكتب في اليوم كتابة خمسة أعوام
خشية أن أسقط والدين علي
لم أكمل بعد رسالاتي، لم أكمل رحلتي الكبرى
وأنا أرفض أن أغمض عيني
والوطن المحتاج إلي ـ ولم يمنحني غير الحزن سلالا ـ
أعشق أن يتحول ذات صباح جنة ورد وسلام
لم أكمل بعد الرحلة، ما أديت رسالاتي
هل أسكتُ، والحنجرة احتقنت بالدمع وماجت
بكـــلام وكـــلام
ما نطقتْ بعد به..؟

فصل من كتاب المراثي

(1)

وكم من غُرفة سرقت عيونكَ فاستدارتْ في اتّجاه القلب
كم من حجرةٍ نزعت دواخلك الجريحة
أيها الرجل الذي أعطى وما أخذا
لموتِ جاهز أمشي. . . لدمع بينهُ والقلبِ ألفُ مسافةٍ
تَسع الخديعةَ والرّدى
فهل أنهيتُ هذى الصفحة الأولى
وأرخيتُ الجبين على كتابٍ فارغٍ ؟
خُذ قُبلتي من طفلة تدعى جهانَ
وخُذ عناقى من ندى. . .
وخُذِ الجذورَ من الذي دفنته حياً ساقُه اليُسرى
وما يبقى من القبل البريئة لَمّهُ من زوجة الشيخ الوقورِ
ودَعْ لي القلبَ، صَحرائي التي نبتتْ بها صفصافةٌ
رفضتْ عصافيري وعرّش غُصنها بين القبورْ
ما كان هذا موقعي
فلتنهضِ الأشياء من أشيائها
ولتنسحب كل البحار من البحارِ
أنا القتيلُ المُغْرَقُ
ما كان هذا موقعي

كم كنت أعشق وجه برومِثيوسَ
لكنّ الزمان اختار لي سيزيفَ
فاختلَطتْ لديَّ ملامحٌ وتفرعتْ طُرُقُ
أخيط سحابة بسحابةٍ
لا ليس هذا موقعي ، ليست كآبات اليمام مدينتي
ليس النزيف زماني المكتوبَ
لولا نجمتاي ، خلعتُ هذا الشوق من قدميَّ واسترخيتُ بعض الوقتِ
للحرب الأماكنُ كلها ، وخنادقي حربٌ وحربٌ
مَرّةً أجد انتصاريَ في الحروفِ ، ومرّةً أكبو.
من حوّل القلبَ المسيّجَ بالزنابق هيروشيما ؟
من أنبت الصبارَ في قدميَّ ؟
من أعطى لوجهي نكهة اليتم الوسيمِ سواك سيِّدتي
البيت كان يديك ، مروحتي حديثُك
أستريحُ من الخناجر لحظةً
والآن أبحث عن مكانٍ في المكانِ
الآن مروحتي
حريقٌ يسرق الأشجار من صدري فأبحث في الزمانِ عن الزمان فلا أجدْ
غيرَ الكتابةِ أغرس الأشجار فيها كي تُفرِّخَ أو تلدْ

(2)

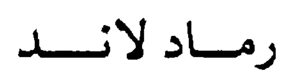
هيَ الأرضُ استحالتْ مقبره
هو الشّعر احتراقٌ ، والقصيدةُ مجزره
ولكن السكوتَ جريمةٌ
فلأي بحر نشتكي والشعر بالتقسيط موتٌ واحتجاجٌ

أنا لا شيء يضحكني لأضحكَ
كل شيءٍ قابلٌ ليكونَ ضد خطوطهِ ! . . .
جسرٌ صغيرٌ ينقل الأحياءَ للموتِ البطيء . . . وجسرُنا . .
لِنهربَ الجسد النحيف من المهاةِ كتابةٌ
قد تدخل التاريخ من بابٍ ونافذةٍ، وقد تُطرد
شعارٌ واحدٌ . . .
جسدٌ لهذا الرأسِ أو رأسٌ لمن وجَد الجسدْ
ما عاد شيء غامضاً، فالشمسُ تفضح ما يواريه الظلامْ
ما عاد شيء واضحاً فالليل قاعاتٌ، كواليسٌ
يُعمّرها التآمرُ والكلامُ
يتنقل الأشخاصُ من أقصى اليسار إلى اليمين . . .
فلتكتبوا فوق السحاب حكايتي :
أنا عاشق حتى الأصابعِ قد رميتُ على الخليج يداً
وأعطيتُ المحيط يدا . . . وهذا الجسمُ شاهدْ
فتته قِطعاً . . . وكان القلبُ واحد
وأنا الذي دمرتُ ما دمرتُ من قلبي
أردتُ مدينةً للعاشقين فلم أجدْ

(3)

وماذا إذا كانت أقاليمي المنافَي
واستراحةُ رأسيَ المشروخَ حربٌ ثانيه
فهل قدمتُ شيئا للذين يهمُّهم صوتي
وكل مناطقي جبهاتُ حربٍ ضاربه؟
أُصارحكم . . . أنا لو كنتُ غيرَ أنا؟

لو انفتحت يدانِ لنبضي، أو لم يدمرْ جبهتي نبضٌ يزيد عن القياسِ
ربحتُ حرباً واستحلتُ مدينةً أخرى
أصارحكم . . . سيضحك بعضكم، لكنَّ من شقّته آلاف الحروبِ
يريد ظلا كي يضمد جُرحه ليعود ثانيةً إلى كراتِه الأخرى
وماذا لو ظلالي القيظُ والسكّينُ مروحتي ؟
وكانت غرفتي صبـرا ؟
تعالْي يا سنائي مثلما كنتِ، انفضي عني الغبارَ
وحدثيني عن رمادكِ
كي أُزوِّج حرفِيَ المثقوبَ بالجُرحِ الذي كان البداية لاحتراقك
علّني أضعُ النقاط على الحروف
تعالْي يا سناءْ.
فأنتِ طريقنا نحو السماوات البعيدة في اتجاه الظل والماءْ
تعالْي يا سناءْ
لسُمرة وجهك النبويّ كم فتشت عن لونٍ يلائم وجنتيكِ فلم أجدْ
لِنظرتِكِ التي حَملتْ جهات الحلم كم فتشتُ عن وطنٍ يزوجني
بمروحةٍ تُزيل عن الجبينِ كآبتيَ
لبسمتك التي تسع البحارَ احترتُ كيف تمتزج ابتسامتُك
البريئة بالحريق / أردتُ أن أبكي ولكن الدموع حجارةٌ في
الحلقِ، أيتها البريئةُ مثل عاشقةٍ تمد عليّ سالفها أأبكي
أم تُرَى أرثُ انفجارك / وقيل تسرَّعتْ، قلتُ اكتفينا بالسكوتِ
فما الذي يبقى ؟
تعالي يا سناءْ / وليبدأ العهدُ الجديدُ من الرمادِ لعلَّ يابسَةً
تَلُمُّ شتاتنا
ولينهض الأحباب من قبو الرطوبة ها عُمر
يأتي


رماد لاند

(المنحدرات النارية. هذه الانحناءات المتوردة التي يغيب شكل العالم بين خطوطها. كم هي قاسية في نتوئها البني، إذ يأخذ في كل منها شكل محارة قفـزت على التو من صدفتها لتمنح الشتاء طعما يخلط الألوان كلها في اللا لون. وأنت أيها الغريب في صمته المقوس! هل جئتنا بيراعات أخرى تبعث الحكمة مزمورا ورديا؟ أم هل ساقتك المنحدرات إلى فج لاحد له؟ كئيبة هي القـارة التي تربط بين صرة وعنف. وغـائم هو الـدبق المختفي تحت قشرة الـرأس. غير أن منحدرا واحدا يكفي لاحتواء اللزوجة كلها حتى لاشيء يوقظ اعصـارك الـذي يتحـرك صوب المـارستانات. منحدر واحد تبدأ به صفحتك التي قضمت بعض أطرافها رائحة العطونة. ثم لا تنام إلا لتفيق. فاتحا على الرصيف مروحة اغلقتها بين حاجبيك لكزة ولكزة. ولا رحلت في الجسد إلا جئت. غير أنك الآن تنصب فرسا طينيا أمام كل منحدر. وتنتظر انفتاح الطريق إلى الأغوار اللزجه. فلعل طروادة تشتاق إلى عاشوراء حيث تقفـز الأفـراس الصغـيرة فوق اللهب الـوردي. فيها تتراشق الـديكة بالماء والمفرقعات. ومالك لم ترسم بالأحمر حلمك الذي داسته في صبرا دبابة عربائيلية؟

فتخـاطف على ثوبك المسيج بالرمان ذوو القربى والمساكين. ثم ما لبثت أن تغضنت بسمتك التي تبعث رائحة السردين المشوي ـ على كل رصيف)

هل قلت لماذا يختصر البرق خبايا منزلق ناري

يزحف من «سيول» إلى عرس في «مراكش».
لم أتحدث عن منزلق آخر كور سمرته في علبة ند
وتقدمني
علّ بلادا تجمع جلستها
لكني شكلت بكفي على الفم بوقا
وبدأت ادحرج ما يتفتت من حلمي
راء.. للريح الغربية تلتمني بصقيع أنشقه
(قال صديق ادرد: يقلب معجون الاسنان حضارتنا بعد سنين)
ميم.. لمدائن تركض في متسع من حرقتها
بين نيون الاعلانات وأشرطة العري
مدائن لا تملك نبضا أو وجها
ألف.. لاناي المرمية بين فواف لا يبصرها إلا العميان..
امتلأت محفظتي اليوم بشيكات من نبض
دال.. للدم يجري نهرا من بن/ قلت له إن دمي
يختزن البن ليوم لاجد له
فانكشفت غمازته عن بعض حنين
هل قلت لماذا يقتات على جسدي بدو؟
أبدأ بالمطرالساحب من أرضي قدميه. أقول احتقنت ذاكرتي
بعصافير البحر تلوح لي بمناديل / وكانت أياما..
أسرج من شبقي لائحة بقصائد لم تكتب
وادق بنعلي الأرض كطروادي / هل يوم اضربك البرد
فاثرت رصيفا يدفأ تحت سماء نوفمبر
كنت كمن يعتز بمشيته قرب قرينه؟
لم تقل الآن لهذا القلب ترنم بالشيق من ملحونك
فانسكبت عاصفة فوق جبين فتى ظل يخيط الأرض بنبضته

ـ ما يحزنك اليوم؟
ـ كآبات مساء أوقعني في الجب وباع قميصي
ـ فلتخرج من ظلك
ـ لا حيلــة لـي . .
ها مائدة أخرى لطيور أبابيل تجيء من البيد منقطة المنقار
بها نقشته دماء فرائسها. أعرف أن يدي
إذ تمسك في الكورنيش نجوما تحتاج إلى حلم أكبر من جسدي
غيرك لا يفتح نافذة للابق من ركلات القلب
(هناك حيث لا طعم لرائحة الرقاد الاسن. يسمق القصب وتنزلق اليعاسيب

جسد جسد / هل من أحد

مقفرة هي الدهشة حين لا تلوي على شيء قابل لبعث الغرابة في لزوجتها
خطو الحمام قم ياغلام
وكان ان ركبن فتنة. وغطسن ما وراء الاذن في مساء باريس ثم انفتحن

ورمت بنـظرتهـا الفحـول هنيهة	فتجمــدت أطــرافهم حبـا لهـا
فإذا أتت كشف اللعاب حنينهم	وإذا نأت يبست من العشق اللهى
بدوية للردف منــهـا طعــنــة	قد تبعث الميت الـطريح مولهـا

هل ذكر المذياع شيئا عن بيروت في هذه الأمسية اللذيذة ياجدتي؟ لو هاجمتنا الفئران، ماذا كنا سنفعل؟ هذا ماتساءل عنه المزفت بن الأرقش. ورواه عنه الأديب القشعم والعـلامة الأعلم، أبو الأبيض حليك بن رقاع في كتابه: روضة الأنين، فيما هو عليه الحال في القرن العشرين. .)

لا تحمل جسدي حتى أكشف عن متسع للموت، أنا الأبق في عدوته
لا شاطيء يسرق خطوي / لا لون لرائحتي كي أتمسك بالزنبق
جئت لأشهد أن الأشياء تفر من الأشياء، وأمشي
قل يانائمة عيناه: أفي ظلك متكأ لبريدي؟

قل ما شئت لعلي أتربع بين لهيبي وجليدي
هي ساعات كانت بعد غد ترميني بروائح ابط لا أذكر
كيف التف على عنقي
فنبست بنون شيقة وتربعت على قطعة هم تحملني انى شئت
ولاحد لما ينزف من حلمي نحو الرمل، أنا الساكن في
صلوات الريح تمنيت لو انحدرت بي الأيام إلى زاوية
ترميني بالتين الشوكي / أقوم على مقربة من حلمي
وأجر الناحل من جسدي صوب الكتاب

تمنيت لو انكسرت فوق الرأس قصيبات فقيه
كي أعرف ما يفصل تاء عن ثاء، أو بلعت حنجرتي
بعض رؤوس السردين المقلي عساني أختم سورة ياسين
اذن كنت اخترت لرجلي مسلك من حرف حاجبه
حتى لا يصغي لنهيق القلب. وها أنت توشحني
بالبارد من نبضتك المندورة للزمن المعتوه / أهز تواشي
على ظهر فراشات لا أمسك احداها إلا تركت ما تحمله
وأمد إلى عنق البحر يدي
فتشاطرني أرق الصيادين عيون تمسحني في اغماضتها

ما للوطن اللابس كنزته يركض في حلقي ركض غزال

ابصر فوهة؟
ولم النسوة يكتبن رسائل تحشى بالديناميت؟
أجر إلى كأس القهوة ما يتبقى من يوم يفتحني قاموس حنين
وأغادر ثوبي صوب الممكن، أبصر من يتخذ الخصر ملاذا
وذراعي خليجا. فاشد على الحلم يدي !

(يعنيك أيها الكائن الغريب، هذا الانشاد الموغل في هجمته كطروادي شرس. تجنبت العظام المغطاة بالشحم. فبهذه الطريقة انخدع زيوس، والتفتت يمينا ويسارا ثم مشيت وفي البدء كان القتل. هذه المساءات التي تغير على الأسطح ناشرة من الرماد أكثره. لم تفتح عينيك على حلم الا حملتك العربات الى الضفة الأخرى حيث الهاوية المقدسة التي لا يكشف أسرارها أحد الا فاجأته النبوءة، ثم لم يقدر شأنك الا هيزيود اذ أعطاك قوسا ونبالا وقال: تقدم في البرية فاتحا مدن الرصاص والمعدن بالشيق من الكلام، فلما جاء الرواة اختلفوا شيعا فيك، من قائل إنك شبيه الزعفران
الزعفران، وقائل عنك مالا ينقال في حضرة سيد، وها أنت تكتفي
ب دمعتين، وداخلا طقس الزمن الفلسطيني بحزمة مرثيات تتجاوز فيها
المصارين بالازقة
لا شيء يكشف عن شيء، فهل لوجهك الطاعن في دهشته أن يخيط الآية بالآية؟ وهل لديك أن تحشد من الرعد، عشر زمجرات؟ وأنت الواحد في نتوئك البري..!)

قهــوة لسيّــد البجــع

إلى صديقي وصهري الراحل
الفنان عبد اللطيف الهلالي

قل يا سارية عيناه إلى منفتح للموت
أتمحو كل مواعيدك في مفردة بالهاتف؟
ما كنت الغائب إذ فتحت باريس لظلك متكأ
كانت أسراب البجع المهووس برقصته تبعث وجهك
متشحا بإماراته

وتخيط لصوتك في مبتدإ النصف الثاني من أكتوبر
كنزة صوف ما كنت الغائب

كنا نتوسد بسمتك المسكونة بالحلم الهارب
ونسد على قسماتك أبواب العين مخافة تنسل
ونعرف أنك تملك في كل منا عاصمة
هل جئت لترحل؟

ما اكتملت بعد الرقصة ـ ما أعطانا غير قفاه
هذا الزمن الكاذب

لم تنطق يوما بإسم حرائقك السرية
كانت تحبو فيك فتطعمها البسمة والبسمة
هل كنت تحارب بالصبر خطاها البنية
مشتعلا كالشمعة في قلب الظلمة؟

سيأتيك هذا المساء كتابي !

فقل لسعادة البريد ولو نصف ما خبأ القلب من وجع
كنت أعرف حين تعض على شفة كم تكابد
كي يستمر الحديث

وأعرف أن مقاطع من شهرزاد تخبىء حزنك حينا
فنلقي على كورساكوف الرحال
يدور الشريط على بسمة منك تبعث في حاجبي السؤال:
أأجرؤ أفتح للحلم نافذة والسكاكين تنخر في جسدي؟
كنت تكبر في العين صفصافة
ألف الطير أن يستظل بها
ما الذي غير الآن ما بيننا كي تسافر دون وداع؟
وماذا اقترفنا ليصبح بعض العناق محال؟

وها دقت الساعة الخامسة
يقوم الصباح ليغسل عينيه فوق الشجر
وها حركوا الجثة الناعسة
ليكتشفوا بسمة كان بين خرائطها موعد للقمر

أي يد مستك قبيل الخامسة صباحا
في هذا الليل الباريسي المثقل بالشوق
وماذا لو عدت لكي تتورد فينا
نحن الأجدر بالسهر الشيق حولك حتى تغمض عينيك على
صورة سيدة تمسك طفلين، هو الحلم المفتون بخطوته
وجهك إذ ترسم بالأطراف حديثا لا لغة يلبسها وهو الجرح الغائر
حين نفتش عن جسد خبأه عنا زمن غادر
هل تفتح عينيك قليلا» تتمطى
ثم تقول صباح الخير كمن يوشك أن يهب الشارع نصف دواخله

لا تهرب من بين أصابعنا
فالزمن الراكض منذ الخامسة صباحا، يجمع ما بين حواجبنا مروحة
ويحيل الصدر مقابر

ألأنك كنت تعد الأيام بأوراق الزهرة
وتسافر في جرح ما التأما
آخيت الناس، فما خنت العشرة
ورقصت على جرحك مبتسما؟

صباح الخير يا عبد اللطيف أتشرب الشاي الذي
حضرته بيدي أم نرخي على المقهى سوالف حلمنا؟
هيأتُ للحلم الكتابة كلها ودخلت مرثيتي

أعد الراحلين من الأحبة راسما للنبض خطوة هارب!
كيف الطريق تباعدت بعد اكتشافك ما تمدد في الكتابة

من نشيج؟ كيف لا تجد الحجارة غير من ولج احتراقي؟

لقمة، فإذا الذي بين الأحبة والعناق
ساعة للندب، هل أرثيك ؟ لا

تأتي، ويأتي خلف خطوتك البريئة سرب أسئلة
تقوم من الفراش فتحتسي شاي الصباح، تريدني.
أن أفتح المذياع ، أفتحه
فهل أرثيك أم أرمي على الحلم اشتياقي؟

تجل متى أردتك فالطريق إليك مقطوعة
وبعض رسائل الأحباب لا تصل
تجل كنبضة في الصدر مسموعة

ولا ترحل كمن رحلوا

نلتقي بضع ثوان ثم تنسل خطانا من طريق لطريق
نترك الأرض التي تنهار تزداد انهيارا
لم نرقع ثوبها الممزوق يوما أو صببنا الماء في كل حريق

فهي لا تحتاج خيط أو رقاعا
وهي لا تحتاج ماء كي تكون الأرض بعضا من دخان ورماد

يا صديقي ، هذه الأرض التي تحتاجنا الآن بعيدة!!
ربما تأتي إلينا ذات يوم عندما البحر يفيق
غير أنا نركب الآن الشهادة
كي يكون الحب كالخبز» نغني لبلاد سوف تأتي
كي تداوي جرحنا المفتوح كالبئر العميق

(البيضاء: 16/ 25 أكتوبر 1985)

كتاب الأسماء والصفات

صالح

يعدو. . سروالا فضفاضا وقميصا متسخا
يعدو. . عيناه الضيقتان تشعان بومض بريق
يغرق في صوفية يوما
ويفيض بخبث فتى يبحث عن لقمته بالعدو على قدم
لم يعرف نعلا يعدو، والرأس العاري
أقسم ألا ينبت فيه الوبر البني سوى سنتيم
يبدو في عدوته حينا كفتى يركب في القيظ حصانا
وكمن يجتاز بدراجته الضوء الأحمر حينا آخر
لم يتعود أن يطلق عينيه أماما، في عدوته
يتلفت خلفا ويمينا ويسارا
يظهر أياما معدودات، وكثيرا ما يتوارى
لا تُعرف وجهته
لا يُعرف مسكنه
لكن يعرف عنه كثير إذ لم يكبر أو يصغر يوما
أو عاشر سيدة، أو دق بقبضته دارا
لم يتسول، ، ينطق بالحكمة حينا
ويفوه بألفاظ لا يدرك معناها أحيانا أخرى
أو يتبول وسْط الشارع والناس جهارا
أنكر سلطانة إذ نفضت يدها من والده

أنكر والده إذ آثر أن يجمع في حضرته الصبيانَ
وأنكر إخوته والناس
له دنياه، وما أروعها في عينيه، العدوُ
وتوزيع القبلات على زبناء المقهى
ممن يذكر سيماهم أو لا يذكرها
وله عاصمة تحتاج إلى عودته
ونساء يحتجن إلى بصقته في الكف عساهن يخلفن ذكورا
أو يحتجن إلى دعوته إذ تفتح في حضرتها السموات العشر
فينهل الرزق، وتكتظ بيوت النسوة أطفالا وثمارا
يا صالح لا تخش النسيان ستنشأ حول ضريحك مقبرة
والقبر الأقرب منك يباع مزايدة
فلتعد إذن ماشئت
وهُز جبينك ليلا ونهارا
لن يوقف من جريتك الآن رجال المخزن
فالأحمق منهم من يبصر طبشورا أسود وسط ثيابك
والأنضج منهم من يوقف كل السيارات بصفارته
حين تمر كمن يلهث خلف غمامه
ولأنك تشبه من أرسى في الأرض كرامته أعفوك إذن
من ثمن الحمام، ولا مقهى تدخله إلا امتلأت أحشاؤك
بالقهوة والشاي، ولا متجر تسرقك الخطوة نحوه إلا
مدك بالخبز لتخرج منشور القامة
متجها صوب غمام لا تمسكه كف، قال الفتية
صالح يلعب لعبته
لكن استفتاء سويعات يكشف عن وزنك
في عاصمة تبصر في حضرتك الآن كرامه

فالامطار تغيب إذا غبت
وتقترب الأرض قليلا من قرص الشمس إذا اقترب الصيف
ولم يكشف لك عن أثر ياصالح !
ألا تطلق الغيث إلا إذا ما أتيت؟
أتمسك بين يديك السحاب؟
أترفع عاصمة في إتجاه السماء
لتبعد عنها الحريق إذا ما مللت الغياب؟
لماذا إذن تختفي زمنا وتعود
لتضرب بينك والناس ألف حجاب؟

شـــداد

شداد المتسلق سلمه، أنكر والده إذ لم يختر فئة
أنكر سلطانة إذ وضع الأب بين القضبان
فراحت تكشف عن فخديها بين رصيف ورصيف
أنكر أصحابا ممن يحتفظون بأوراق المرحاض
فشيد حول عقيدته أحبابا ثم أقاما
هو لا يعدو
مشيته إيقاع
ولخطوته رائحة البن، تعود أن يرتدي الجين
ويختار من القمصان الأحمر والأزرق
محبوبا كان
وكنا حين نحدثه عمن ستكون له الأنثى يشرد حينا
ثم يحدثنا عن فاتنة مشيتها إيقاع

ولخطوتها رائحة البن
وتملك وسط حقيبتها ما يملك من فرح الأطفال
أنثى تضع الرأس على كتفيه أمام الناس ولا تخجل
تمنحه الدفء ولا تتعب
في بسمتها شمس تشرق
تدخل بيته كي تخلق فيه وفي الجسد الممشوق نظاما
ألف الممنوع من الصرف، وأرسل لحيته تحت الشفتين كتابا
تمشي الأعين إذ يتحدث في مقصف كلية
أو يرفع سبابته اليمنى تحت الكف اليسرى محتجا
ضد حديث يخرج عن موضوع الجلسة
ضد الزمن الماشي خببا صوب عمامته.
يا شداد الزم إيقاعك في المشية فالزمن الصعب هو الآتي
نحتاج إلى صوتك فينا
نحتاج إلى جسد يأخذ شكل مناره
ولذا، رأسك أغلى من أن يسقط بين رصاص وحجارة
لكن، أوغل في مشيته
فاقتنصته أياد بضعة أيام ثم أتى يصرخ:
لا فرق إذن بين الداخل والخارج
كان الايقاع سريعا
والصوت الهادىء مندفعا
والعينان الضيقتان ارتسمت تحتهما الأقواس البنية
هل كان إذن
يتعلم كيف يحيل الايقاع سريعا وسط مغاره؟
علقت عيناه بطالبة كانت أول من صفق في حضرته
وضعت صورته في سلسلة تتدلى بين النهدين

وكانت تحفظ ما قال
وتؤمن بالآتي، فاستصحبها أسبوعا
ثم افترقا حين اكتشف المخبوء وراء الصورة والصوت
وكان الحلم بتاج وأساور من ذهب وخواتم
كان القفطان المطروز وأصناف الماكياج وشداد
شداد إختار الشحاذين لأن الشحاذين إختاروه
فاقتلعت صورته من بين النهدين وما عادت تحضر
ثم رآها بعد شهور
تتحرك وسط فئات تشرب نخب الزمن المكروه

أيادٍ كانت تسرق القمر

لسلا انفجار البرق والزمن المحمل بالكتابه
لسلا الجفون توسدت عنق السحابه
ولها النبوءة حين تنتقل الشموع وتختفي
ترتاح عاما كي تحركها السواعد من جديد
ولها صهيل البرق بين سحابتين
لها الفصول تجيء مثقلة برائحة الحصير وتختفي
لم ينقلوك على الخيول
تحركت بك جارة زرقاء عبر «الصف»
كنت ترى المدينة من خلال قضيبك المقصوص
تلهث خلف أنغام الربابه
وترى الحوانيت التي عرفتك تغرق
في التساؤل والإجابه
من قال إن سلا تخون البحر؟
من قال امتشاق عيونها يهب الدموع؟
ومن سوّاك قافلة من النعرات تنغل
في تضاريس الكتابه؟

يتقدم في كيميائه، فاتحا صدره لطعنة وسيمة
ذلك الرجل الموزع بين خاتمتين. لم يمنح دهشته
طعم العشب. ولكن حين أتوا، رابط في دهشته
فاخضرت، صار لها مذاق أشبه بالأصوات المذبوحة.
ذلك الرجل بين فاتحتين اثنتين

لم تحترف هما، ولكن التردد بين دكان الخياطة و «المسيد»
بين امتهان «البرشهان» وبلع بعض زعانف الأسماك
وهب احتقانك بالهموم براءة
ورماك للزمن البعيد
يا أيها الفرس المدجج بالحروف وبالرحيل
من قال إن لديك فاكهة مؤجلة
ومن أوصاك بالصبر الجميل؟
حملت إليك رهافة الملحونِ، حتى حين صرتَ الـ
عاشق المقتول قلت: حبيبتي لن تخلع الخلخال والدمليج
خدعتك نافذة تطل على التواشي السبع، نافذة
تغادرها لتغرق في زمان سوف يأتي أمسِ .
نافذة من الحلم المطل على المتاه
وأتيت هذا الطين كي تجد التئامك في سواه؟!
لسلا البحار، لها امتداد الحلمِ
كيف إذن تجر الخطو من باب الخميس إلى
شبابيك ابن عاشر كي ترى مدنا وأضرحة تسافرُ
كي ترى الأفق المحمل بالبخور يمد أجنحة ويرحلُ
أيها الولد المدجج بالصهيل
ولك الحروف تجمعت، فنبست حتى لا تُطيل

وحدك ترتقي الآجر، متشحا بالشيق من طعنات الغدر. ووحدك تأتي جامعا شعرك المنفوش داخل قبعة. تسرق البرق وتطلقه، أي ريح عودتك الصمت أيها المولع بتأسيس الهدم؟ ومن أين تأتي النائحات اللواتي يعجن الغناء بالمراثي؟ هذا مساء مشاكس. والطيور التي تقبت مناقيرها الغمام تجيء محملة بالرغبة في اقتناص بكاء ينفرد الصلصال فيه بصورته.

هل تذكر طعم التين الشوكي؟
انتظرت عيناك بريقهما زمنا كي تعرف
إن جنودا قتلوا تحت العلم النابض بالأزرق والأبيض والأحمر
وانتظرت شفتاك حديثهما زمنا كي تعرف
أن الباقين انتقلوا من رتب الجيش إلى عربات التين الشوكي
فهل تذكر يا شكدالي
يوم أفاقوا قبل الفجر (امتلأ البيت برائحة القهوة والحلوى)
أخذوك من النوم إلى صدر عريف لم تتبين
في الليل خرائط عينيه ولم تلمس إلا الخوذة
والشعر الممتد من الأنف إلى الذقن فهل تذكر يا شكدالي؟
في زمنٍ ما، ولديك من الهم سلال
جاءوك اكتشفوا أنك لم تفعل شيئا
كتبوا إسمك في بعض دفاترهم وارتحلوا
ثم أتوا ثانية
أخذوك إلى ثكنات لم تألف إحداها إلا نقلوك إلى الأخرى
ستة أرقام صرت على جسد ينغل بالعشق
وبعض رسائل من أحببت، تجيئك مثقلة

بحنان تعرفه، ونقود لم تعرفها
كانت فترات حراستك الليلية آهلة بالأوجه والكلمات المختاره
بصفوف تتحرك من باب المعهد حتى مبنى البلديه
بالأيدي، برصاص وحجاره
بخطاب مطوي في الجيب اصفرّ، بأسلاك الهاتف
بالتفتيش، بكف امرأة يمتد ليسرق لحمك من
بين بنادقهم، بيد مشطت شعرك ذات مساء
وهبتك استرخاء صبيّ
فاختلط العشق لديك بصمت وبكاء

قال المجنون انطلقت أصوات القراء تخيط الآية بالآية
وانزلقت رائحة العود تذكر بها مضى من زمن سوف يجيء
كانت بعض الأعين تنداح يمينا ويسارا.. وعيون أخرى
تركب أحلاما. قال المجنون احترقت ذاكرتي، أتصورني
سيد هذي الليلة. زفوني زفاف مطلق وانتشروا.

المجزرة الآن ابتدأت: أذكر أن قد جئت إلى مرتفعات «الحاجب»
كي تجديني متسخا، قلت: بعيد يا ولدي أنت
ونارك في صدري كافية للقتل فكيف أراك؟
أحسستُ بأنك تخفين الدمعة
أحسست بأني أتحول ساحات عراك
وتعانقنا أكثر من عشر دقائق
وتحدثنا عن أخبار الأهل، عن العسكر والأسلاك
لكن. حين ارتسمت في عينيك البسمة يا أمي
وسّعت مساحاتي، وأضعت القلب هناك
في زمن آخر يا أمي

كانت سانية المنصوري تنغل بالأطفال
بأحلام تتحرك ماسحة أعيننا بالزمن الموعود
وعلى نمش يركب سحنة ميشيلين انفتحت نافذة
في القلب، وأخرى انغلقت إذ فصل البارود
بين ملامح ميشيلين وعيني
وأعاد الزمن الأعرج صفعته ثانية، لم أبك
ولكني أقرأ في عينيك صباي
فيصاحبني همّ لم يدركه سواي
المجزرة الآن ابتدأت: أذكر أن القتلى كانوا باعة تين شوكي
ولديهم أحلام أكبر من أن يستوعبها الجسد المشروخ وكانوا
حلاقين وشحاذين وصنّاع حصيرْ
ثم انفتح الحفل، وكان التوقيع وأكواب الشاي
لكن حين تكررت الصفعة كان القتلى أطفالا في
سن الحلم امتلأت بدفاترهم أرصفة
ببقايا الأذرع والأفخاذ امتلأت حفرٌ
ثم انفتح الحفل، وكان التوقيع وأكواب الشاي
ألقاتل يا أمي يخرج من لعبته بالتوقيع على ورق أبيض
والمقتول يظل هو المقتول
فخذيني كي أقرأ في عينيك متاهاتي
ضميني حتى لا يفتح في ذاكرتي ثقب
وأعيدي لي سانية المنصوري
عليّ أبدأ يا أمي ترتيب سطوري

المساءات وحدها ليس تكفي. أيها الزنبق، ما الذي
يجعل أيدينا أشد عريا من المرآة. وأنت أيها الأرق

المفتش عن إنائه، ليكن مذاقك أشهى كي أقول
الأرض تنغل بالرجال الطيبين. المساءات وحدها ليس
تكفي. وعاما بعد عام تكتشف كم كنت مخطئا إذ
لبست الأنثى، وخلعت ذراعك!

حاورتني من الجبس. لم تقترب من عيوني إلا قليلا
وانكرها البحر حين اشتهت أن تكون
لأمواجه لغة الياسمين
كيف لي أن أقاوم هذا الصهيل وبعض الحديث هوى لا يبين
كيف لي والمساءات ما وهبت غير بعض الحبوب من البن
ثم استوت كي تجرب في جسدي لهجات الحنين
إنني شيق
والقطارات شيقة حين تجعل من جسدي سكة
أيها البحر: قل لي متى يركب الموج غضبتهُ؟
والطيور التي رفعت بالمناقير بعض الحجارة أيان تأتي؟
أنا مترع بالمساءات: لم أختطف قبلة
ثم حين اختطفت كشفت وعاتبني الأصدقاء القدامى
وأنكرني ليلة العيد وجهي، أنا مترع بالصهيل
أيها المكتفي بالنبوءة، ياوطن النخل، هبهم
قليلا من العشق كي يعرفوا أن وجهي بريء
أنني إذ حملت إلى وجنتيك فمي
كنت أبحث عن سبب لأضيء
قل لهم إنني مذ نشرت يدي باكيا فاستشاروا الفقيه
ليسجنني في «ابن حسون» كنت غريبا ومحتقنا بالسماء
ومذ عاقبوني ببلع الزعانف أدركتُ أن العقوبة أكبر مما فعلتُ

وأني متهم بالبراءة والكبرياء
أيها المكتفي بالنبوءة، ياوطن الماء، هذي الطريق
تقود إلى التيه من صار أكبر من أن تحيط به في ابن حسون نافذةً
والزعانف أثمن في فترات الغلاء

قال المجنون: خبأتني البراءات، وناشدني بعض معارفي
أن أكشف عن عورتي، فخلعت قميصي ومئزري، ولدي
من السر مالا يفضحه خلع مئزر وقميص. قالوا أوضح،
فأشرت إلى البحر وقلت عارٍ هو البحر ولكني أتجسد في
الكائن حتى لا يركبكم موجي، وأقوم على خدمة يابسة
لايقطنها إلا اليابس العاشق سيدة تمتطي شفرة
مينورا وتجعل المرء جديْدًا كل صباح

نشروا جسدي، وانتدبوا البرق رسولا
إني خادمكم: أغسل ما يعلق بالبذلات الزرقاء من العرق الآسن
أكتب عنكم ما يحملني صوب اليرقان
وأقسم أن شهادتكم أعلى
ولديكم من طيبوبة آدم ما لا يملكه الشعراء
أنا خادمكم، لكن، هل ضاقت كل الدنيا
ليكون نصيبي منها مرسوم رثاء؟
يا شكدالي اكتب، أنك آت من زمن يسمن فيه الموتى من أسفل
مثل البصل اكتب، انك مقطوف من شجر
وادخل طقس الفقراء.
تلك المائدة امتدت ذات صباح: كانت بعض شعيرات
بين الأنف وأعلى الشفة العليا قد بدأت تخضرّ

وكنا نقرأ أشياء لا ندرك معناها، اكتض الشارع
بالأرجل والأيدي ارتفعت أصواتٌ تزعم
أن قد جاء زمان لا يلدغ
مرت ساعات، ثم انكشفت تلك اللعبةُ عن تغيير في
مائدة الشطرنج (انتحر الفارس، وانتصبت جدران القلعة
هاوية تبتلع البيدق تلو البيدق
كان أن احتضن الفارس سيدة الشطرنج فغطته بخصلتها
كي يلعب دور القلعة يومين وأياما أخرى دور الأحمق
يا شكدالي اكتب واكتب واكتب
وحدك والسيجارة والورق الأسود والأقلام
وحدك والشارع في قلبك والأيـام
قد تأتيك ابنة آوى، تسحب من بين يديك الأوراقَ
ولا تقرأها، تبحث فيك عن الإنسان ولا تصنعه
تأتيك على صهوة حلم أكبر من عالمك المصنوع من الكلمات
تأتيك فلا تمنحها غير صنيع يديها
بطلا من ورق، أحلاما من ورق
هل تضمن ألا تبحث عن فرس آخر لا يشغله إلا حرث الردفين
عن فرس أوسم منك وأوسع وجها إذ يضحك
يا شكدالي اكتب واكتب واكتب
أنتَ الرجل الكاشف عن عورته بالحرف المتوهج كالجمره
ماذا يعجب كل نساء الدنيا من رجل ضيّع عمره
كي يلهث فوق الأوراق المنذورة للريح؟

زنبقة نبتت في كتف النهر، النهر وسيمٌ يدرعُ
أبهة الوطن العاشق صورته في الماء. وللنهر حكايات
ترويها الجدات. الزنبقة البرية تملك أحلاما
تتوزع بين ركوب النهر إلى حيث يخالطه الملح
وجني الهمسات الشبقية حتى تأخذ شكلا يتلاءم
والجسد الفارع مثل نخيل يتأهب للقفز. الزنبقة
الناعسة القلب تغادر مخدعها في السادسة مساء
نحو الهمسات الأكثر وخزاً للفرس الرابض في
أشهى معتقلات الصدر. لها النهر وما فيه. لها
الأرض ومن فيها. وأنا لي جسدٌ يتقدم نحو المجرى
متشحا بالصبرِ ولا شيء يباغتني كي أنسى
أحزان النهرِ. الزنبقة البرية تكتشف النهرَ وتنفيه
الأرضَ وتلغيها. إذ يتمسك في ثورته الماء بتوسيع
المجرى أو يسمق مأخوذا بالفيضان، تعود إلى مخدعها
ثانية خشية أن يجرفها طوفان، تعلو تعلو
حتى تنسى أحزان النهر الزنبقة الباردة الصدرِ

هو النهر استشار همومه قبل المجيء وغازل الأدغال
فانكفأت تعب الرمل والشجر المعرض للسقوط النهر
أضرب عن مسار لا يفجر حزنه البني، ماء يكشف
الآن الخيانة في انفصال الغصن عن شجر يقاوم
حالة الطقس الموقت، حاور المدن العريقة في تلقي
الصفع فانتفضت: لهذا الصيف لون الرعب
قل للصيف ما خفناك. نشكو البرد، نشكو الجوعَ،
نشكو الموت عاهدناك، هذا الرأس لن يحنى، ودمع
العين لن ينساك، نهرٌ عندما استفتى الهموم
تزينت في البيت زنبقة البراري، خلصي خصلاتك
الزرقاءَ من كفيَّ هاهم أقبلوا هزي عليَّ الردفَ
إن نوابغ الفول المدمس آثروا ردفا على وطنٍ
وعضيني، انتهيت إليك بعد مجاعة أطعمتها مدنا
تنوء بها الدواخل، وانتهيت إليك بعد رحيل هذا
النمل نحو لغاته الأولى، وبعد البدء بالتفتيش في
الرئتين، بعد البعد جئتك رافعاً حفري فعضيني

زنبقة نبتت في كتف النهر، النهر طريق تصلُ
الحلم الآبق بالمنعطفاتِ (وللنهر طريق لا تخفيها
المنعطفات) انتفضت في اللحظات الأولى من
صحو عصافير اللحم، اختارت أن تلزم في الرحلة
يمناها، فانعطف النهر يساراً وافتقدتني وجدتني
اكتب شيئا عن زمن آخر فانتصبت مثل قضيب
غلام واكتشفت في جسدي غزة. يا شكدالي سينهمرُ
الفجر على نافذة مثقلة بيراعات لم تشحد. تأتي

حيوانات أخرى بزعانف مثقلة أحزانا تأكل
بقلا. وتقوم الساعة حتى يشهد حوذي ما خبأه
جملٌ عن أنثاه. تقدم. أتقدم محلولا كشجيرات
أزجر بعض عناكبكم زجر الحاجب ما اقتربت سيدة
مني إلا اقتسمتها الرعشاتُ، فجئني يا نورسُ
بالأجمل منهن وجئني بالعربات أنا الفاتك في
وحدته، وأنا المثقل بالجيرانيوم. أسافر نحو
مدائن لم تشهد إلا بالزور أكوكبها وألف على
البحر زعانف خيطت جلبابا. يا مقطوع الذيل تعال
وحاورني مثل صديق غاب غداً فاندلقت رائحة
الكسحان على نافذة لم تفتحها إلا عاشقة. حدثني
عن زمن يخرج من ثقب الإبرة محشوا بيراعات
أخرى، بصهيل آخر، وادخل في جسدي. يا بحارة
هذا الزمن الداعر لموني، وخذوني معكم.. ماعادت لي
تلك الرغبة في أن أرثيكم، أشعر أني المرثي وها أنتم
تنتقلون على عجل كمن اكتشفوا أن قطارا لا يمكن
أن يتوقف أكثر من خمس دقائق. لموني وانتشروا

قالت هيا امنحني وجهك ساعة يغفو عباد الشمس
وساعة تعقد أجفانَ الصبْية أحلامُ الغول المتوسد
سالف هينةَ. اني مائدة الله الممدودة للصابر.
من يقدر أن يسرقني؟ لو منحوني الشمس فلا شيء
يزهدني في المحبوب: كتمت كنوزي كي أفتحها
ساعة يأتيني. وأطلت ظفائر قلبي حتى يتوسدها
ما أتعسني حين أفتش كل الدنيا كي أعثر في القلب

على محبوب أعمى . انتفض الشكدالي قليلا ثم
هوى . قالت سلطانة يوم العرس أيَا دلدل جئني
في اللام ، وجئني منتصبا فانتصب الدلدل . قلنا
يا دلدل خذ لك من حبات الحرمل قبضة كف . .
واملأ بالشبة قب الجلباب . انتصب العاشق مغتاظا
قالت : جئني في الهمزة ، وانفضني أتناثرْ، قلنا
يا عاشق لا تدخل حتى تُدهن بالغاسول . انتصب العاشق
مغتاظاً وانتفضت سلطانة إذ طال رفيف العين اليسرى
قالت يا دلدل ماذا تحمل تحت حزامك؟ قال : قليلا
من شعر سلاطين العشاقِ ، وبعض فتيت من
أظفارك يا مولاتي ، قلنا يا سلطانة هبي من جهة
الشرق ، ولا تدعي الفاسق يدخلْ حتى يغطس لحمك
في الموجة سبعاً . قالت هبني يا دلدل نصف نهار
وارحل في جسدي كل نهار . / فانتفض الشكدالي
قليلا يوم العرس وطارْ

III هوامــش علـى الـزنـبـق

كانت تعرف أن الأعين تلهث خلفي ، تتعثر
وأنا أكتب للوطن المحبوب قصيدة
صارت تعرف أن حياتي أقصر مما تتصور
وغـداً قـد يأتـيــها
من يحمل في العينين جريده

كانت تعرف أن الوطن الفاتن يسكنني
يتجول في كرياتي الزرقاء
صارت تعرف أن صهيل الشوق يؤكدني إذ ينفيني
يجعل عينيها جزءاً من وطني
يتحرك في قنوات الصدر سحابا أخضر

قلت التحقي بالنهر أيا جامحة النهدين
وأسلمت الماء جبين مريد لم يثقبه الضوء سوى بضع ثوانٍ
كي يعرف قانون اللعبة أكثر من حـلاج
سيدتي ، هل عندك أغوار لم تمسسها يوما قدمُ النهر .
ولا استوطن بعض مخابئها إنسان

هل عندك أغوار لم ينبت فيها زهرُ البركان
كيف إذن حين سما النهر إلى العتبات الأكثر نضجا
قلت جبيني أحلى من أن يملأه السوقة رعبا
وهبطت السلم رافعة نحو الأسفل أذيال القفطان؟

سيدتي . ضميني أورق في عينيّ الحب وأزهر
لميني . نبت الشوق بصدري عنبا أحمر
إن كنت تحبين سكوتي
فأنا أعشق صمتك أكثر

وحين أتيت من سفرك
يخالبك العياء فتسحب الخطو المهالىء
تقافز من شقوق البيت صوت الطفل
ـ أتذكر ليلة السفر المفاجىء
لقد ثقبت يداك غشاء منع الحمل!

ـ تقف الآن غريبا يا شكدالي
ووحيدا تملك جمجمة لا تنغل إلا بالدمع المالح
من منا يقدر أن يوقف هذا القلب الجامح؟
حين عشقت الوطن الشيق في عينيْ سلطانه
وتدلت أغصان القلب العامر بالطيبوبه
أنكر وجهك وجهُ المحبوبه

ـ صباح جمعت أثوابي وأعددت الحقائب للسفر
بكت من شدة الحزن الحبيبة ، عاهدتني

أن تخط إلّي آلاف الرسائل
عن الشوق الذي يسكن أعماق المفاصل
وعن وهج الدموع متى استحالت خنجرا في العين
رحلتُ ولم أُدِرْ عنقي
ـ سيقبل وجهها القمحي ممتطيا رسالتها إلّي
فلما غربتني البيد عنها
واستحال الشوق في منفاي منفى
قضيت الصيف انتظر البريد
وما كتبت إلّي حبيبتي حرفا!

لا تتمزق يا شكدالي، ألم تعرف أثناء رحيلك من مدريد إلى باريس
أن امرأة من بورجوس بكت. أن صديقك رامبو
وجد العالم في الأدغال وان النابت في وحدته لوركا
ظل يطارد بين شوارع غرناطه
لا تتمزق، قلبك لا يقدر أن يفرغ زاوية لإمرأة
قلبك مملوء بالوطن الباحث عمن يعشقه

ـ مساءً. وكل المدائن غافيةٌ
يترك القلب متراسه لحظة ثم يأوي إلى لغة لا تبين
مساء. ينام الذين تعينت في بابهم حاجبا
فتسيجني رغبة في البكاء
وتنغل في جسدي لهجات الحنين
تحط الحروف على عتبة القلب، تقتات من نبضتي ساعة
ثم ترحل بالقش حين تطير

لتترك دالية القلب موغلة في التفرد
ان غادر الطير أغصانها استسلمت للهجير
يميل الحنين إلى لغة ثانية
تقربني من مرافىء حزني وتبعدني عن شواطىء أسلمتها قدمي
فاستراحت إلى لحظة لا تميز قلبا من القلب
وانطفأت في دمي
كيف لي أن أمدد هذا الزمان
كل حلمي أتى والمدى ساعتانْ
كيف لي أن أحدد شكل حضورك في جسدي
والدقائق هاربة في اتجاه الغروب
ومنفلت من يديّ المكانْ

١٧ أبـو المخشـي يستـرد عينيـه

لمسك الليل بعض غباوة الشعراء. حدثني أبو المخشي
حين تخاصرت أعناقنا عند اندلاق الطيب من بوابة المبنى
وأردف: كم يكون العمر حين يغادر الفتيان هذا القبو
كان الشارع الممتد يبدأ عادة من لفظة
نبتت لها قدمان أيتها المسافة بين جسمي والفراغِ
أكنتِ أقرب إذ هممت أقول يا وطني اتئد
عبق المكان بطفلة سرقوا أباها يوم كانوا
يدرعون الحي بحثا عن لحى الفتيان
كانت تستمد من الفراش براءة
وتقول: يا أبت استفقتُ فلم أجدك معي!
تنهد صاحبي. وتفتحت عينٌ وراء رقابنا
مسحته ثم هوت إليّ العينُ. أردفَ:
هل يكون حضورنا جزءا من المشهد؟
أدرتُ عن الحمام حديثنا وسكتُّ إذ نشربت سوالفها
الهموم عليّ غطاني بمعطفه أبو المخشي
حتى لا يباغتني البكاء وضمني
ـ هل كنت ساعة حك لحيته المساء معي؟ لقد قلت البداية هذه
وبدأت فاختطفوا اللسان وأطفأوا عينيّ

هات الحبر يا ولدي، وهات الصبر، ولننزل إلى الأسواق
مختصرين حزن الأرض في لغة اليمام وضمني
هذا انفجار البحر قلت، وهذه سمة الطيورالمشرئبة للمفاجىء
عادت العين الغريبة كي تهز قفايَ
واكتمل الحوار على رصيف غمامة ثقبت أبا المخشي
وانحرفت تشد حواجبي نحو امتداد البحرِ
أوقفني على ريق المسا عبد اللطيف
يخط بالطبشور خارطة، ويشبك خلف معطفه اليدين
كمن حبته كآبة قلق اليمامِ البحرُ يسكن صدرك المثقوب
يا عبد اللطيف، وأنت تدخل طقسك الباكي
وتبصر في الأحبة مخبرين أتستعير من النزيف لغاته؟
والبحر أول من سيشهد أن هذا الصدر داليةٌ
لهات الخيل بعض فروعها
والبحر آخر من يصدق لعبة الإنشاءِ، كان جليسك الأرق الذي
يهب العيون براءة الأطفال، حتى حين أجلسك السهادُ
على امتداد جبينه، حتى وأنت تغادر الجسد الممزقَ
حاملا نعليك، متخذا طيور البحر بوصلةً
وحتى إذ رسمت على الجبين كآبة الشجر المقرفص
في انتظار غمامة، كنت احتمال مجيئها
(تلك اليمامة ذكّرتني باغتيال أحبتي) وأشار باليسرى
أبو المخشي، كان الأفق محتميا بمعطفه
وبعض حمائم السهب المجاور تقتفي خطو الأشعة

كان موعدنا المساء، حلقت ذقني وانحدرت إليك
مثل غمامة. أو لم يجد يوم انتقال الأهل

توقيتا سوى ذاك المساء . عرفت حين همستِ
فليَكن اللقاء كتابة أن الكتابة لن تكون إليَّ

· إيه البحر أصغر يا أبا المخشي مما نشتهي
شجر يعذب عاشقيه وبعض من نهوى سئمن حديثنا المعجون
بالوطن المكابر فانحدرن الى الشوارع يكتشفن تمايز الأجسادِ
(هذي خطوة لابد نخطوها) وأردف حين باغتني اندلاقُ
من جنون الكركدن ، شممت صورة قاتلي
ـ هل ما تزال قرونه تعلو؟ ـ علت وابيضّ منه المفرقانِ
أنا اشتياقك للنطاح فخذ جبيني أيها الموسوم بالفتك المؤجل
كان يغمد دمعة ما جاوزت بعد الجبين ، وضمني /
(وقفت جهان على امتداد سحابة
كان الحنين مباغتا حين استعارت مشيتي
واستنفرت خيلا تمارس داخلي قيلولة الفرسان
أيتها الفراشة زوديني باندلاق البحر كي أهب الكتابة
شكلها الأنقى ، جهان البحر غطاني فتحت كتابة وقرأت
هذا ظلك الممتد من علك الهموم إلى انفجار كتابة أخرى
جهان العالم الموسوم بالفرح البدائي اكتشفت صهيله
أيتها الفراشة علميني كيف أمتشق ابتسام الفحل
ماسحة رصيف القلب من بصمات هذا المارد المدعو حُزنا

خلفنا المبنى يهيء وجبة أخرى وأحبابي اختفوا
لعقوا الوجوه بنظرة وسعت حنين الخيل
لو أني أنمت القلب ساعة لوحوا، هل كان
ينغل بالخيول . تثاءبي يتها المسافةُ

بين جسمي والفراغ اليومَ، أضبط حاملا صور العصاةِ
اليومِ تبدأ رحلتي صوب انفجار آبق، ، واليومَ
أُكتشف اكتشاف يمامة وقفتْ تثير بصوتها شبق البنادق
يا مسافة، يا خيول، ويا انفجاري بالصهيلِ
وددت لو أحييت للأهل احتفالا تهدم «الشيخات» فيه
برقصهن السقف، لو أني اختزنت البرقَ في العيطات والملحونِ
هذا عرسكم. جسدٌ يغادر لحمه مستأنسا بالجمر
أشياء تطل من الجبين، مدينة شمت قليلا إبطها
لو كان... هذا عرسكم. تقف الحجارة كي تغازل بعضها
تقفون. أحشى بالمداد وأنتشي فرحاً يفتش عن لغات
يرتديها. / خذ جبيني يا أبا المخشي واثبت
قبل تحصدك البنادق، إنهم آتون من بوابة المبنى
(أفقت على سعال سحابة، واشتقت أركض ناسفا صدري
ندى، لُمي الغسيل. أبوك منشغل برتق فتوقه
وندى استحالت خيمةً. أخطو وتسرقني الوجوه من الخطى
أستلّ إنشادا، وأركب كي أُسمي فتنةً بعض اكتئاباتي
فيغدر بي الزحاف، يشدني نحو انفعال جاهزْ
تلك الصبيةُ تمتطي أرق الضفادع
كيف أجعل ضفدعا لغتي!
وكيف أجر بسمة صاحبي وسط الكتابة كي تمارس لكزها
وأفقت. ها عبد اللطيف اكتظ بالهذيانِ، تلك بداية المعراج
تكتب طفلة أن إنفجارا للملامح يشرئب ويختفي
وجهان تشنق دمية وتقول: بابا علبة الكبريت أفضل
أنت شيقة الهموم حبيبتي
ولك انفجار لم تسعه الأبجديهْ

ندى تحتل يميني وجهان يساري
وأنا أتقدم نحوك يا بلدي
أرفع مبتسما كناش همومي
وعلى ظهر سلحفاة أجتاز حدود النار

جاءوك على متن طيور، وقفوا. كانوا أصنافا
منهم من يبست بعض نوابضه والصنف الثاني ظل طريا
قال اليابس منتفخ الشدقين: كذا يكوينا زمن الحكه
ترسلنا بيروت إلى القدس وترسلنا القدس إلى بيروت
أينم وجهنا أعيننا ثمة حلم مكبوث
ووقفت كبيرا يا شكدالي، وقفت على خاصرة الريح
أشرت إليهم بالرأس، وحين إلتفتوا
كانت طرق أخرى تبدأ من مدن أخرى
وعلى مدّ العين ارتفعت بيروت بقامتها العربية
أكبر من حجم المأساة وأحلى من أن تدرف دمعاً
ووقفت كبيرا يا شكدالي وكان
تل الزعتر في كل مكان
هلى قتلوك الليلة أم قتلوك غدا؟
أنت المفقود المتفرد بالشيق من نعرات الإنسان
يا شكدالي المحروق الفخذين، المقسوم إلى جزئين
المتورط في وحدته بالشفتين القائل والمقتول العامر بالإيمان
جاءوك وكانْ
تل الزعتر في كل مكانْ

٧ خذوني معكم أيها البحّارة

لأن البحر يمنح ساعةً للقلب، ها جسدي ينز بكم
يغامزني الرذاذ فأنتشي
تلك المسافة ليس تفصل عاشقا عن عاشق
وأنا المحمل باشتعال رائع لليتم أكتشف الصحابة
في جنون الخيل أو أرق المناره
عيون البحر عرتني
وحين كُشفت علمني التحدث بالإشاره
ألا يا نورس الشطَان سهرني لأرصد قامتي وسط امتهان
عابر للطول، سهرني لأبحث عن إناء لاحتواء ملوحتي
أنا حامض والبرق سافر بي
كأن الأرض تطلع بي من الغثيانِ أرسم وجهة وأقولُ:
هذا البحر متكىء عليّ بمرفقٍ
أي اتجاه غير أن نمشي معاً صوب انفجار رائع
للضوء والأملاح، أيتها المصاغة من قضيب الند والجاوي
لك الدنيا، مقابل أن يشاركني الرحيلُ حضورك القمحي
هذا الفصل مكتنز وأنت بصحبتي
تتوردين كحلمة مُصت
أحبك، أنت من سيحدث الأصحاب عن موتي اغتيالا

حين تفرزني المياه، وأنت من يبكي، يكبّر صورتي
ويشم أقمصتي أحبك أنت فانبجسي
كأن الأرض تطلع بي من الغثيان. محترق وأبحث عن حريق
سمني المنفى
وسمٍّ حضور أوجه من أحب بداية الوسواس
فاجأني انفجار شيق: تقف الإناث على مداخل معطفي
فأقول من منكن تشبه في السخاء جهانَ؟
من منكن تشبه في الوفاء ندى؟
ومن منكن تملك أن تصدر للزنازن حبها علبا؟
ومن منكم تربط خصرها بالموت؟
فاجأني الحنين إلى انهيار شيق. أنسل متشحا
بطعم جرادة تشوي. أشد الحرف من أذنيه كي ينقاد
للوطن اكتئابات (تراءى ليلة الإسراء وجهُ سعيدة
غطت بنصف قميصها أرق الخيول
وكانت الجدران تمصق غيضها خشبا، زجاجا
خبأ العمري بعض همومه في قطعة الطبشور
أخشاب، زجاج، سوف أرحل قال. وانفلتت بنا
بعض الدروب حجارة ودمٌ، زجاجٌ
والطريق تشدنا من أرنبات الأنف تمنحنا البكاء وتلتوي)
أنا حامض والبرق سافر بي
عليّ صلاة كل يمامة وسلامُها
ما كنت أول من تحمض في غياب حبيبه
كل الذين تسعيدوا وتعومروا وتكرينوا هم أول الحمضى
وأنت الواسع المكتظ بالأحباب يا قلبي وأنت جريمتي

(كنا عند صهيل الجرس الأول نلصق أعيننا بالباب:
بيـــروت أتــتْ
عند صهيل الجرس الثاني نتهامسْ
لن تأتي بيـروتْ
سألوني عن أحبابي قلت لهم رسموني فوق جذوع النخل
كتاب مراثٍ. واعتصموا بنبوءات لا تخطىء
ها إني اذ أبكي يتوسطني فرحٌ، فاكتشفوني
أتلبس بالفرح العالي كالقبضة في فاتح ماي)

يمد البحر ساعة أنتشي رجليه
يثقبني ويرحل يا جهان
كل الذين أحبهم
عادوا. ولم يعد الأمانْ

(لبس البحر جبيني.. واتكأت بعض حمامات الكولخوزِ
تذكرني بالوطن الفاتن. «هدَّتني أَنْكم»
وابتسمت بعض مناطق باختيارٍ
كانت كازاخستان تهب على نزل الأنهار السبعةِ
حاملة بعض نفائسها إذ أورق في جسدي عنب
وتدليت عناقيد حنين. وطني ياباختيار وسيمٌ
وأنا حين أُصرح بالعشق أذوبُ، وآه ما أروعني
بين العشاق. وما أجمل فتحات الخنجر في ظهري
إذ اتثاءبُ أو تفتح مصراعيّ حمامات الكولخوزْ)
أخاف أقاتل الأشجار أو أرث انبهار صبية
لم تكثرت لجموح فتنتها العيونُ

مساءَ ودّعني وأطرق. لم أقل شيئا ولكني اتكأتُ على جبين
يشتكي، واشتقت أمضغ ساعة مما تخثر من
أماسي الوصل. إني مترع بالكائنات
ولي انشطار يستمر دقيقة في اليوم أخرج فاتحا في الصدر غزة
ناشراً تحويفة النصل المقدس للأشعة واليمام المحتمي
بسرادق من مرثيات العصِر. إني مترعُ
بألذ فاكهة: جنوني
أيها البهو الذي يرفو الكتابة بالنشيج ويستضيف نبوءتي
كن حافلا بالفوّهات، مزاحماً زمن الكتابة بالمقاسِ
وجُرني صوب اندلاق، ألتمسْ منك النزوع
كبرت تضاريسي، ولكنْ الدموع هي الدموع
إني الصدى، وبروزه الوحشي عبر الصخر والفجوات
أمتهن المشاكس في انتظار إيابهم
وأمرّ مرّ سحابة فوق انفجاراتي
كأن يداً تسل دواخلي مني لتمنحها انفجارا لا حدود تحده
وأنا تخيط الجفن مني بالسحاب، هلم يا وسواس
عاشرني وجدد صورتي بالملح، يا خناسُ
ليت تبادلت معك الهراش عيونهم أو ضاجعوكَ
دقيقة. هذي جيوشي أيها المعشوقُ
فليكن انفجارك ساخنا مثل اشتهاء حبيبة
ولتستفز الطير واللبلاب محتدما برائحة الفراش المكتوي
هذي جيوشي فاقترب
ولتدخل الساحات ممتطيا بهم طعم الدخان وناشرا
ملح المعادن مثل مجذوب يرابط في عباءته الحمام
وأشد فتكا فليكن حد الكلام.

❁ صدر للشاعر

❁ يصدر قريبا

الثمن 20 درهما

مطبعة القرويين